التزكيـــــــــة
بيـــن
أهـــل السنـــة والصوفيـــة

جمع وترتيب
أحمد فريد

بسم الله الرحمن الرحيم



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذى وهب لنا العقول والأذهان ، ومنحنا فصاحة اللسان وألهمنا التبيان ، وحضنا على التحلى بالحلى الأدبية ، والتخلق بالمكارم العلية، ورغبنا فى الاقتداء بالسنن السنية ، والاهتداء بالأقوال المرضية الزكية ، المتكفِّلَةِ بالسعادة الدينية والدنيوية ، وأرشدنا إلى الطريق الأسنى ، وأمرنا بالإحسان والأفعال الحسنى ، ونهانا عن الأخلاق الدنيئة اللئيمة ، والأفعال الرديئة الذميمة ، وأنعم علينا بالبلاغة والبيان .

نحمده تعالى والحمد من إحسانه العميم ، ونشكره والشكر من إنعامه الجسيم ، ونصلى ونسلم على رسوله النبى الأمى الكريم ، وعلى آله وأصحابه الغر الميامين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد

قال أبو الحسن بن هذيل :
والذى عليه فى التأليف المدار ، هو حسن الانتقاء والاختيار ، مع الترتيب والتبويب والتهذيب والتقريب .

قال بعض العلماء : اختيار الكلام أشد من نحت السهام[1] . وهذه رسالة لطيفة فى التزكية جمعت فيها ما تفرق مما وقفت عليه فى أصل من أصول دعوتنا السلفية ، وهو الأصل الذى به نجاة الفرد وصلاح الجماعة ، ألا وهو التزكية التى تمنن الله بها على عباده المؤمنين بقوله : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَازَكَى مِنكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللهَ يُزَكِّى مَن يَشَاءُ واللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (النور : ٢١) ، وأخبر فى كتابه أنه أرسل نبيه المصطفى ﷺ يزكى به قلوب الناس فقال تعالى متمننا ببعثته : ﴿ هُوَ الَّذى بَعَثَ فِى الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِم وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (الجمعة : ٢)

(١) عين الأدب والسياسة (٨) دار الكتب العلمية .

وكان النبى ﷺ يسأل الله عز وجل هذه الزكاة فيقول « اللهم آت نفوسنا تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها »[1] .

ورتبت الكلام فى ثلاثة أبواب رئيسية ورابعها خاتمة البحث :

الباب الأول : معنى التزكية وأهميتها .

الباب الثانى : مقارنة بين أهل السنة والصوفية فى مناهج التزكية .

الباب الثالث : غاية التزكية عند أهل السنة وغاية التزكية عند الصوفية .

الباب الرابع : خاتمة البحث .

وأسأل الله العلى الكبير أن يتقبل منى هذا العمل اليسير ، ويثيبنى من فضله الثواب الجزيل ، وهو مولانا ونعم الوكيل ، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم .

---

(١) رواه مسلم (٤١/١٧) الذكر بزيادة فى أوله وآخره وأحمد (٣٧١/٤) ، و(٢٠٩/٦) بلفظ « رب أعط نفسى تقواها » .

الباب الأول

معنى التزكية وأهميتها

التزكية هى الأصل الثالث من الأصول العلمية للدعوة السلفية ، ويقصد بها تنمية القلوب وإصلاحها وتطهيرها ، يقولون زكا الزرع إذا نما وصلح وبلغ كماله ، وسميت صدقة المال الواجبة زكاة لأن المال يطهر بها وينمو ، فهى طهارة للمال ، وطهارة للمزكى ، وطهارة للمجتمع ، وعكس التزكية التدسية : وهى التصغير والتحقير حتى تصير النفس حقيرة دنيئة لا تكاد ترى من حقارتها ودناءتها ، ومنه قوله عز وجل : ﴿ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِى التُّرَاب ﴾ (النحل : ٥٩) أى يخفيه فى التراب ، وقد أقسم الله عز وجل فى كتابه أحد عشر قسماً متوالياً على أن صلاح العبد منوط بتزكية نفسه ، وخيبته منوطة بتدسية نفسه قال تعالى : ﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ، والقَمَرِ إذا تَلَاهَا ، وَالنَّهارِ إِذَا جَلَّاهَا ، وَاللَّيْلِ إذَا يَغْشَاهَا ، وَالسَّماءِ وَمَابَنَاهَا وَالأَرْضِ وَمَاطَحَاهَا ، وَنَفْسٍ وَمَاسَوَّاهَا ، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ، قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ، وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ...﴾ [الشمس : ١ — ١٠] .

قال الشيخ عطية سالم فى تتمة الأضواء : واختلف فى موضع الضمير فى ﴿ زَكَّاهَا وَدَسَّاهَا ﴾ وهو يرجع إلى اختلافهم فى ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ فهل يعود على الله تعالى كما فى ﴿ وَنَفْسٍ وَمَاسَوَّاهَا ﴾ ، أم يعود على العبد ، ويمكن أن يستدل لكل قوم ببعض النصوص ، فمما يستدل به للقول الأول قوله تعالى : ﴿ بَلِ اللهُ يُزَكِّى مَن يَّشَاءُ وَلَايُظْلَمُونَ فَتِيلاً ﴾ [النساء : ٤٩] وقوله : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَازَكَى مِنكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَداً ﴾ [النور : ٢١] وفى الحديث أنه ﷺ كان يقول عند هذه الآية : « اللهم آت نفوسنا تقواها وزكها ، أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها »[1] ومما استدل به للقول الثانى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ

---

(١) تقدم تخريجه ص (٦) .

رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾ [الأعلى : ١٤] وقوله : ﴿ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ ﴾ [فاطر : ١٨] .

والذى يظهر والله أعلم ، أن ما يتزكى به العبد ، وعملٌ فى طاعة وتركُ معصيةٍ فإنه بفضل من الله .
كما تفضل عليه بالهدى والتوفيق للإيمان ، فهو الذى يتفضل عليه بالتوفيق إلى العمل الصالح وترك المعاصى ، كما فى قولك « لاحول ولا قوة إلا بالله) بل إن فى قوله تعالى : ﴿ بَلِ اللهُ يُزَكِّى مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً ﴾ [النساء : ٤٩] الجمع بين الأمرين القدرى والشرعى ، بل الله يزكى من يشاء بفضله ، ولا تظلمون فتيلا بعدله ، والله تعالى أعلم[1] . فصلاح العباد وفلاحهم وفوزهم ونجاتهم فى تعهد أنفسهم بالإصلاح ، وتطهير بواطنهم وظواهرهم من الشرك بالله عز وجل ومن سائر الصفات المذمومة ، وتحليتها بالتوحيد واستسلامها للشرع المجيد .

وقد أجمع علماء القلوب على أن القلوب لا تصل إلى مُنَاهَا حتى تصل إلى مولاها ، ولا تصل إلى مولاها حتى تكون صحيحة سليمة زكية ، والله عز وجل طيب لا يقبل إلا طيباً ، فكلما طابت النفس وزكت قربها الله عز وجل ، فتسعد بالله عز وجل ، وتأنس بالله عز وجل ، وتستغنى بالله عز وجل .

وكلما عصى العبد ربه وصَغَّر نفسه وحَقَّرَها بمعصية الله طرده الله عز وجل عن حضرته ، وأبعده بقدر جنايته ، فتحدث الوحشة بينه وبين ربه عز وجل ، وبينه وبين عباد الله المؤمنين ، فلو حصلت له الدنيا بحذافيرها لم تعوضه هذه الوحشة .

فالواجب على المسلم حتى تزكو نفسه أن يستسلم لشرع الله عز وجل ، بعد أن يتحقق قلبه بالتوحيد ، وأن يكون بين يدى الشارع كالميت بين يدى الغاسل ، ألا ترى أن الميت لا تكون له إرادة ولا هوى تخالف إرادة مغسله ،

(١) باختصار من أضواء البيان (٩/٢٤٧ - ٢٤٩) .

بل يقلبه المغسل كيف يشاء ، ويقدم مايشاء ويؤخر ما يشاء ، وليس له إلا التسليم ، وهذا معنى الإسلام وهو الاستسلام لشرع الله عز وجل .

قال الزهرى : من الله الرسالة ، وعلى الرسول البلاغ ، وعلينا التسليم . والشرع كله تزكية لنفوس العباد حتى يصلحوا لمجاورة الله فى الجنة ، فالتوحيد تزكية : قال الله تعالى : ﴿ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِيْنَ الَّذِيْنَ لايُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾ [فصلت : ٦ ، ٧] قال ابن كثير رحمه الله : قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس : يعني الذين لا يشهدون أن لا إله إلا الله وكذا قال عكرمة .[1]

والصلاة تزكية : قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنْ الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ ﴾ (العنكبوت : ٤٥)

وقال النبى ﷺ : «أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات ما تقولون ذلك يبقى من درنه ؟ قالوا لا يبقى من درنه شيئاً . قال : فذلك مَثَل الصلوات الخمس يمحو الله بها الخطايا »[2]

والصدقه تزكية : قال الله تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ [التوبة : ١٠٣]

والحج تزكية : قال الله تعالى : ﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ ولَا جِدَالَ فِي الحَجِّ ﴾ [البقرة : ١٩٧]

فالله عز وجل شرع لنا الشرائع من أجل أن تزكو نفوسنا ، وأن تصلح دنيانا وآخرتنا ، والله عز وجل أغنى وأعز من أن ينتفع بطاعات العباد ، أو أن يتضرر بمعاصيهم كما فى الحديث القدسى « ياعبادى إنكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى ، ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى »[3] . بل العباد أنفسهم يتضررون بمعاصيهم ، وهم أنفسهم ينتفعون بطاعاتهم ، والله تعالى غنى عنهم وعن

(١) تفسير القرآن العظيم (٩٢/٤) دار المعرفة .

(٢) رواه البخارى (١١/٢) مواقيت الصلاة ، ومسلم (١٧٠/٢) المساجد ، والترمذى (٣١٦/١٠) الأمثال والنسائى (٢٣١/١) الصلاة . والدرن : الوسخ .

(٣) رواه مسلم (١٣٢/١٦ ، ١٣٣) البر والصلة ، والترمذى (٣٠٥/٩) صفة القيامة عن أبى ذر رضى الله عنه .

طاعاتهم قال تعالى : ﴿ لَن يَنَالَ اللهَ لُحُومُهَا ولا دمَاؤُهَا ﴾ [الحج : ٣٧] ألا ترى أن العباد يذبحون الهدايا والأضاحى ويأكلون لحومها ، وهم مع ذلك يتقربون بها إلى الله عز وجل ، لأنهم يستجيبون لأمر الله ، ويستسلمون لشرعه ، فالإيمان والعمل الصالح سبب سعادة الدنيا ، كما أنه سبب سعادة الآخرة قال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحيِينَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ، وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَاكَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل : ٩٧] والسعادة سعادة القلوب ، والشقاء شقاء القلوب ، والقلوب لا تسعد إلا بالله ، ولا تطمئن إلا بذكره وطاعته قال تعالى : ﴿ الَّذين آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ ألا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ القُلُوبُ ﴾[الرعد : ٢٨] فلا تسعد بالمال ، ولا تسعد بالجاه ، ولا تسعد بالشهرة ، والتعاسة والشقاء تلاحقان العبد إذا تعلق القلب بغير الله حباً ورجاءً وخوفاً وتوكلاً ، قال النبى ﷺ : « تعس عبد الدينار ، وعبد الدرهم ، وعبد الخميصة ، إن أعطى رضى وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش »[1] .

وصفوة القول أن يقال كلما زكى العبد نفسه بالتوحيد وطاعة العزيز الحميد كلما سعد ، والعكس بالعكس ، كما قال تعالى : ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدَىً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِى فإِنَّ لَهُ مَعِيْشَةً ضَنْكاً ، وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَعْمَى ، قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِى أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيْرا ، قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ اليَوْمَ تُنسَى .. » [طه : ١٢٣ - ١٢٦] .

---

(١) رواه البخارى (٨١/٦) الجهاد ، وابن ماجه (٤١٣٥) الزهد . تعس : دعاء عليه بالهلاك ، القطيفة كساء له خمل و الخميصة : ثياب خز (حرير) أو صوف معلمة، شيك : شاكته شوكه ، انتقش : خرجت من جسمه .

قال ابن القيم رحمه الله :

وسمعت شيخ الإسلام قدس الله روحه يقول : إن فى الدنيا جنة من لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة .

وقال مرة : ما يصنع أعدائى بى ؟ أنا جنتى وبستانى فى صدرى ، إن رحت فهى معى لا تفارقنى ، إن حبسى خلوة ، وقتلى شهادة ، وإخراجى من بلدى سياحة .

وكان يقول فى محبسه فى القلعة : لو بذلت لهم ملء هذه القلعة ذهباً ، ما عدل عندى شكر هذه النعمة ، أو قال : ما جزيتهم على ما تسببوا لى فيه من الخير ، ونحو هذا .

وكان يقول فى سجوده وهو محبوس : « اللهم أعنِّى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك »[1] ما شاء الله .

وقال لى مرة : المحبوس من حبس قلبه عن ربه ، والمأسور من أسره هواه .

ولما دخل إلى القلعة وصار داخل سورها نظر إليه وقال : ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾ [الحديد : ١٣]

وعلم الله ما رأيت أحداً أطيب عيشاً منه قط ، مع ما كان فيه من ضيق العيش ، وخلاف الرفاهية والنعيم ، بل ضدها ، ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرهاق وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشاً ، وأشرحهم صدراً وأقواهم قلبا ، وأسرِّهم ، تلوح نضرةُ النعيم على وجهه .

وكنا إذا اشتد بنا الخوف ، وساءت منا الظنون ، وضاقت بنا الأرض ، أتيناه ، فما هو إلا أن نراه ، ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله عنا ، وينقلب انشراحاً وقوة ويقيناً وطمأنينة ، فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه ،

(١) الحديث رواه أبو داود والنسائى (٥٣/٣) الدعاء بعد الذكر عن معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ أخذ بيده فقال : يامعاذ والله إنى لأحبك فقال أوصيك يامعاذ لا تدعن فى كل صلاة أن تقول : اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك » وصحح إسناده عبد القادر الأرناؤوط فى تحقيق جامع الأصول (٢٠٩/٤) .

وفتح لهم أبوابها فى دار العمل ، فأتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها .

وكان بعض العارفين يقول : لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه ، لجالدونا عليه بالسيوف .

وقال آخر : مساكين أهل الدنيا ، خرجوا منها وماذاقوا أطيب ما فيها ؟ قيل : وما أطيب مافيها قال : محبة الله تعالى ومعرفته وذكره ، أو نحو هذا .

وقال آخر : إنه لتمر بالقلب أوقات يرقص فيها طرباً . وقال آخر : إنه لتمر بى أوقات أقول : إن كان أهل الجنة فى مثل هذا ، إنهم لفى عيش طيب .

فمحبة الله تعالى ومعرفته ودوام ذكره والسكون إليه ، والطمأنينة إليه ، وإفراده بالحب والخوف والرجاء والتوكل والمعاملة ، بحيث يكون هو وحده المستولى على هموم العبد وعزماته وإرادته ، هو جنة الدنيا ، والنعيم الذى لا يشبهه نعيم ، وهو قرة عين المحبين وحياة العارفين .

وإنما تقر أعين الناس بهم على حسب قرة أعينهم بالله عز وجل، فمن قرت عينه بالله ، قرت به كل عين ، ومن لم تقر عينه بالله تقطعت نفسه على الدنيا حسرات[1] .اهـ .

قال ابن القيم فى طريق الهجرتين :

فوا أسفاه وواحسرتاه ، كيف ينقضى الزمان وينفد العمر والقلب محجوب ماشم لهذا رائحة ، وخرج من الدنيا كما دخل إليها ، وما ذاق أطيب ما فيها ، بل عاش فيها عيش البهائم وانتقل انتقال المفاليس ، فكانت حياته عجزاً وموته كمداً ، ومعاده حسرة وأسفاً ، اللهم فلك الحمد ، وإليك المشتكى ، وأنت المستعان ، وبك المستغاث ، وعليك التكلان ولا حول ولا قوة إلا بك[2] .

والحاصل أن العبد يجهل مواقع السعادة ، والنفس الجاهلة تتكاسل عن

(١) الوابل الصيب بتحقيق بشير محمد عيون (٩٦ – ٩٨) دار البيان .

(٢) طريق الهجرتين (٢١١) السلفية .

الطاعات لجهلها بأن سعادة الداريـن فى طاعة الله والاستسلام لأمره ونهيه ، قال ابن المبارك رحمه الله : إن الصالحين فيما مضى كانت أنفسهم تواتيهم على الخير عفوا ، وإن أنفسنا لا تكاد تواتينا فينبغى علينا أن نكرهها .

فلطاعة الله عز وجل ـ حلاوة تتذوقها القلوب إذا باشرتها ، وهذه الحلاوة تقصر دونها العبارة ، ولا تحيط بها الإشارة . قال بعضهم : أهل الليل فى ليلهم ألذ من أهل اللهو فى لهوهم ، ولولا الليل ما أحببت البقاء فى الدنيا .

وقال غيره : مابقى من لذات الدنيا إلا ثلاث : قيام الليل ، ولقاء الإخوان ، وصلاة الجماعة .

فتثقل هذه العبادات والتكاليف الشرعية على الذين لم ينالوا من العلم إلا زبد الأفكار وزبالة الأذهان ، وتخف على أهل الطاعات الذين زكت نفوسهم ، وطهرت جوارحهم ، ولقد كان الواحد منهم يثقل عليه خروجه من الصلاة ، قال بعضهم : أنا منذ أربعين سنة ما أزعجنى إلا طلوع الفجر .

وبكى أحد الصحابة عند موته فسأل عما يبكيه فقال : والله لا أبكى على دنياكم ولا أبكى على فراقكم ، ولكن أبكى على طول ظمأ الهواجر ، وقيام ليالى الشتاء الطويلة .

ويكفيك أيها القارىء الكريم أن تعلم أن النبى ﷺ كان يصلى حتى تشقق قدماه ، وترم ساقاه ، فيقال له أتفعل ذلك وقد غفر الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فيقول ﷺ « أفلا أكون عبداً شكوراً »[1]

وكان يواصل ﷺ وينهى عن الوصال ويقول « إنى أبيت عند ربى يطعمنى ويسقينى »[2] فكان ﷺ أحسن الناس حالا وأسعدهم بربه وكان يقول :

---

(١) رواه البخارى (١٤/٣) التهجد والتفسير والرقاق، ومسلم (١٦٢/١٧) صفات المنافقين ، والترمذى (٢٠٤/٢ ، ٢٠٥) الصلاة ، والنسائى (٢١٩/٣) قيام الليل .

(٢) رواه البخارى (٤ /٢٠٢) الصوم ، ومسلم (٢١٢/٧) الصيام ، ومالك فى الموطأ (٣٠٠/١) الصيام .

« حبب إلى من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عينى فى الصلاة »[1] فتدبر مرة ثانية قول الله عز وجل : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾ واعلم أن هذا الفلاح لأهل الزكاة فى الدنيا والآخرة ، والخيبة لأهل التدسية فى الدنيا والآخرة .

كما أن قول الله عز وجل : ﴿ إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ، وَإِنَّ الفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴾ [الانفطار : ١٣ ، ١٤] لايعنى نعيم الآخرة للأبرار وجحيم الآخرة للفجار ، بل الأبرار فى نعيم الدنيا ، وفى دار البرزخ ، وفى الآخرة ، وإن كان نعيم الدنيا دون نعيم الآخرة ، كما أن العذاب فى الدنيا دون عذاب الآخرة كما قال الله تعالى : ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ العَذَابِ الأَدْنَى دُونَ العَذَابِ الأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [السجدة : ٢١] والعذاب الأدنى فى الآية يقصد به عذاب الدنيا لقوله تعالى : ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ ولا يكون ذلك إلا فى الدنيا ، واستدل بها ابن عباس على عذاب القبر لقوله تعالى ﴿ مِنَ العَذَابِ الأَدْنَى ﴾ ولم يقل « العذاب الأدنى » فدل على أنهم بقيت لهم من العذاب الأدنى بقية ، يعذبون بها فى القبور .

وظهر الفلاح والنجاح كذلك فى هؤلاء الصحابة الكرام ، فعزوا فى الدنيا

---

(١) رواه النسائى (٦١/٧) عشرة النساء وأحمد (١٢٨/٣ ، ١٩٩ ، ٢٨٥) والحاكم (١٦٠/٢) النكاح وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبى وصححه الألبانى .

قال السندى فى حاشيته على سنن النسائى : قيل إنما حبب إليه النساء لينقلن عنه مالا يطلع عليه الرجال من أحواله ويستحيا من ذكره . وقيل : حبب إليه زيادة فى الابتلاء فى حقه حتى لا يلهو بما حبب إليه من النساء عما كلف به من أداء الرسالة فيكون ذلك أكثر لمشاقه وأعظم لأجره ، وقيل غير ذلك .

وأما الطيب فكأنه يحبه لكونه يناجى الملائكة وهم يحبون الطيب ، وأيضاً هذه المحبة تنشأ من اعتدال المزاج وكمال الخلقة ، وهو ﷺ أشد أعتدالا من حيث المزاج وأكمل خلقه . وقوله « قرة عينى فى الصلاة » إشارة إلى أن تلك المحبة غير ما نعقله عن كمال المناجاة مع الرب تبارك وتعالى ، بل هو مع تلك المحبة منقطع إليه تعالى ، حتى أنه بمناجاته تقر عيناه وليس له قريرة العين فيما سواه ، فمحبته الحقيقية لله تبارك وتعالى ، وفيه إشارة إلى أن محبة النساء والطيب إذا لم يكن مخلاً لأداء حقوق العبودية . بل للانقطاع إليه تعالى يكون من الكمال وإلا يكون من النقصان فليتأمل (٦٢/٦١/٧) .

وسادوا لأنهم استجابوا لله وللرسول من بعد ما أصابهم **القرح** ، هذا مع ما ينتظرهم فى الآخرة من موعود الله عز وجل لهم بالجنة كما قال تعالى : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهَاجِرِيْنَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْه وَأعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى تَحْتَها الأنَهارُ خَالِدِينَ فِيهَا أبَدَا ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيْمُ ﴾ [التوبة : ١٠٠]

فمن أراد سعادة الدارين فعليه أن يتعهد نفسه بالإصلاح والتزكية ؛ فكما أن السموات والأرض لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ، فكذلك قلوب العباد ، لو كان فيها آلهة إلا الله لفسدت بذلك فساداً لايرجى له صلاح ، حتى تعرف ربها عز وجل وتعبده بأمره ونهيه ، والنفوس الجاهلية حتى تترق فى محبة الله عز وجل وولايته تحتاج إلى رفق ومداراة حتى تصير سعادتها فى الطاعات والعبادات قال بعض السلف : عالجت قيام الليل سنة وتمتعت به عشرين سنة .

فالعاقل هو الذى يعالج نفسه ويجبرها على ما فيه سعادتها ، وهذه المعالجة لن تطول بإذن الله ، فلا تلبث نفس العبد أن تتعلم وتذوق حلاوة الطاعات وترك المعاصى ، نصحت إحدى الصالحات من السلف بنيها فقالت لهم : « تعودوا حبَّ الله وطاعته ، فإن المتقين ألفت جوارحهم الطاعة فاستوحشت من غيرها ، فإذا أمرهم الملعون بمعصية مرت المعصية بهم محتشمة فهم لها منكرون » .

وقد ذكر النبى ﷺ حلاوة الايمان ،وبيّن أن الذى يذوق هذه الحلاوة من أخلص حبه لله عز وجل ولرسوله ﷺ ولعباده المؤمنين فقال ﷺ :

« ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار»[1]

قال الشيخ أبو محمد بن أبى جمرة : إنما عبر بالحلاوة لأنه شبه الإيمان

(١) رواه البخارى (١/٦٠) الإيمان ، مسلم (٢/١٣) الإيمان ، والترمذى (١٠/٩١) الإيمان ، وروى مسلم والترمذى عنه ﷺ قال : « ذاق طعم الإيمان من رضى بالله رباً وبالإسلام ديناً ومحمد رسولا » .

بالشجرة فى قوله ﴿ كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾ [إبراهيم : ٢٤] فالكلمة هى كلمة الإخلاص ، والشجرة أصل الإيمان ، وأغصانها اتباع الأمر واجتناب النهى وورقها ما يهتم به المؤمن من الخير وثمرها عمل الطاعات ، وحلاوة الثمر جنى الثمرة وغاية كماله تناهى نضج الثمرة وبه تظهر حلاوتها »[١] .

---

(١) فتح البارى (١/٦٠) السلفية .

مقارنة بين أهل السنة والصوفية فى مناهج التزكية

وإنما قصدنا الصوفية من بين فرق الضلالة ؛ لأنهم يزعمون أنهم أصحاب الأحوال والمقامات والنفوس الزاكيات ، وأنهم أصحاب مناهج فى تصفية النفوس وتنقيتها ، وهذه المقارنة يظهر فيها بجلاء نقاء المنهج السلفى ، وكيف أنه ميراث رسول الله ﷺ وما خالفه إنما هو ابتداع وبعد عن الكتاب والسنة .

ا - منهج التزكية عند السلفيين أهل السنة والجماعة

أهل السنة والجماعة هم أهل الأثر وأهل الحديث ، وهم كذلك أهل الاتباع ، فهم يزكون أنفسهم بما زكى به النبى ﷺ نفوس الصحابة الكرام رضى الله عنهم ، فلا يبتدعون طرقاً للتزكية ، ولا ينتهجون من المناهج ما يخالف نهج النبوة ، وهم يضبطون بالعلم اعتقاداتهم وأقوالهم وأعمالهم ، ونلخص مناهج التزكية عند السلفيين فى ثلاثة أمور :

١ - **التزكية بالعقيدة الصحيحة عقيدة التوحيد** ، ولا يكفيهم ذلك حتى تتعبد قلوبهم لله عز وجل ، وتمتلىءبأنوار أسمائه وصفاته وربوبيته وإلهيته .

٢ - **التزكية بأداء الواجبات وترك المحرمات** .

٣ - **التزكية بالنوافل** .

١ - التزكية بالتوحيد

لاشك أن أوجب أنواع التزكية ، التزكية بالتوحيد قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا المُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾ [التوبة : ٢٨] وهذه النجاسة ليست نجاسة عينية بحيث أن المسلم إذَا مَسَّ كافراً يغسل يده ، فقد أبيح للمسلم أن يتزوج بالكتابية ولا يسلم من عرقها ، والواجب عليه من الطهارة كما هو الواجب على من تزوج بالمسلمة ، فهذه نجاسة معنوية ، قلوبهم نجسة لأنها لاتعرف الله عز وجل معرفة صحيحة ، ولا تعبده وحده لا شريك له عبادة صحيحة .

ونجاسة الشرك ملازمة لاتطهرها المصائب المكفرة ولا الحسنات الماحية ، بعكس تدنس المسلم بشيء من نجاسات المعاصي التي هي دون الشرك ، فإنما تطهرها المصائب المكفرة والحسنات الماحية ، ودعاء المؤمنين ، واستغفار الملائكة ، وغير ذلك من مكفرات الذنوب والخطايا ، لذا كان أول الواجبات أن يطهر العبد نفسه من أنجاس الشرك، ويزكيها بالتوحيد ، كما قال ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ الَّذِيْنَ لَايُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾ [فصلت : ٦ ، ٧] قال : الذين لا يشهدون أن لا إله إلا الله ، وكذلك قول موسى عليه السلام لفرعون ﴿ هَلْ لَكَ إِلى أَنْ تَزَكَّى ﴾ [النازعات : ١٨] أي تتطهر من هذا الشرك بالتوحيد ، فأصل التزكية ، التزكية بالتوحيد ، بل لا تزكو النفس بسائر أنواع العبادات حتى تزكو بالتوحيد أولا ، ومن اهتمام النبي ﷺ بهذا الأصل لما أرسل معاذاً إلى اليمن قال : فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، فإن هم أطاعوك لذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة »[1] الحديث

وأيضاً فإن الزكاة هي التطهير ، وهل هناك نجاسة أشد من الشرك قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشرَكَ بِه وَيَغْفِر مَادُوْنَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ [النساء : ٤٨]

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان : ١٣] .

وقال : « وَمَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالا بَعِيْداً ﴾ [النساء : ١١٦] وقد قضى النبي ﷺ ثلاثة عشر عاماً يدعو إلى التوحيد وكان القرآن المكى دعوةً للتوحيد ، وبيان ما أعده الله عز وجل لأهل التوحيد ، وكذلك ما أعده للمعرضين عن توحيده ، وكيف نصر الله عز وجل أولياءه الموحدين ، وأهلك الكافرين والمعاندين ، حتى استنارت قلوب الصحابة بأنوار التوحيد ، وظهر هذا النور على جوارحهم فأثمر فعل الطاعات وترك المعاصي ، كما قيل في قول الله عز وجل ﴿ ضَرَبَ اللهُ مَثلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي

---

(١) رواه البخاري (٢٦١/٣) الزكاة ، ومسلم (١٩٦/١ ، ١٩٧) الإيمان ، وأبو داود (١٥٦٩) الزكاة والترمذي (١١٧/٣ ، ١١٨) الزكاة ، والنسائي (٥٥/٥) الزكاة .

السَّمَاءِ ، تُؤتى أُكُلَهَا كُلَّ حين بإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ [إبراهيم : ٢٤ ، ٢٥] فالكلمة الطيبة هى كلمة التوحيد « لا إله إلا الله » أصلها ثابت فى قلب المؤمن ، وفرعها من الأعمال الصالحة فى السماء صاعد إلى الله عز وجل ، ونقصد بالتوحيد الذى تزكو به النفوس التوحيد الذى علمنا إيَّاهُ رسول الله ﷺ فى قوله : « الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره »[1] والإيمان بالله هو ركن التوحيد الأعظم ويشمل الإيمان بربوبيته وأسمائه وصفاته وإفراده عز وجل بجميع ألوان العبادة تصديقاً لقولنا « لا إله إلا الله » وقد فصلنا أصول الاعتقاد فى بحث « التربية » بما أغنى عن إعادته فى هذا البحث فليراجع .

ولا يكفى فى توحيد الأسماء والصفات وتوحيد الربوبية أن نثبت لله تعالى ما أثبته لنفسه وما أثبته له رسوله ﷺ إثباتاً بلا تشبيه وتنزيهاً بلا تعطيل ، بل ينبغى أن تتعبد قلوبنا لله عز وجل بصفات الربوبية ، وأسمائه وصفاته ، والتحقق بتوحيد المعرفة هو السبيل كذلك لتمام العبودية وكمالها لله عز وجل .

قال ابن القيم رحمه الله فى وصف السابقين بالخيرات :

وجملة الأمر أنهم قوم قد امتلأت قلوبهم من معرفة الله ، وغمرت بمحبته وخشيته وإجلاله ومراقبته ، فسرت المحبة فى أجزائهم ، فلم يبق فيها عرق ولا مفصل إلا وقد دخله الحب ، قد أنساهم حب ذكره غيره ، وأوحشهم أنسهم به ممن سواه ، قد فنوا بحبه عن حب من سواه ، وبذكره عن ذكر من سواه ، وبخوفه ورجائه والرغبة إليه والرهبة منه والتوكل عليه والإنابة إليه والسكون إليه والتذلل والانكسار بين يديه ، عن تعلق ذلك منهم بغيره ، فإذا وضع أحدهم جنبه على مضجعه صعدت أنفاسه إلى إلهه ومولاه واجتمع همه عليه ، متذكراً صفاته العلى وأسماءه الحسنى ، مشاهداً له فى أسمائه وصفاته ، قد تجلت على قلبه أنوارها فانصبغ قلبه بمعرفته ومحبته ، فبات جسمه على فراشه يتجافى عن مضجعه ، وقلبه قد أوى إلى مولاه وحبيبه فآواه إليه ، وأسجده بين يديه

(١) رواه البخارى (١١٤/١) الإيمان ، ومسلم (١٥٧/١ - ١٦٠) الإيمان .

خاضعاً خاشعاً ذليلا منكسراً من كل جهة من جهاته ، فيالها سجدة ما أشرفها من سجدة لا يرفع رأسه منها إلى يوم اللقاء .

وقيل لبعض العارفين : أيسجد القلب بين يدى ربه ، قال : إى والله بسجدة لا يرفع رأسه منها إلى يوم القيامة .

فشتان بين قلب يبيت عند ربه ، قد قطع فى سفره إليه بيداء الأكوان وخرق حجب الطبيعة ، ولم يقف عند رسم ، ولا سكن إلى علم حتى دخل على ربه فى داره فشاهد عز سلطانه وعظمة جلاله ، وعلو شأنه وبهاء كماله ، وهو مستوٍ على عرشه يدبر أمر عباده ، ويصعد إليه شئون العباد ، تعرض عليه حوائجهم وأعمالهم فيأمر فيها بما يشاء ، فينزل الأمر من عنده نافذاً كما أمر ، فيشاهد الملك الحق قيوماً بنفسه مقيماً لكل ما سواه ، غنياً عن كل من سواه فقيراً إليه «وكل من عداه »[1] ﴿ يَسْأَلُهُ مَنِ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْن ﴾ [الرحمن : ٢٩] يغفر ذنباً ، ويفرج كربا ، ويفك عانيا وينصر ضعيفاً ، ويجبر كسيراً ، ويغنى فقيراً ، ويميت ويحيى ، ويسعد ويشقى ، ويضل ويهدى ، وينعم على قوم ويسلب نعمته عن آخرين ، ويعز أقواماً ويذل آخرين ، ويرفع أقواماً ويضع آخرين [2] .

إلى أن قال رحمه الله :

وجماع الأمر فى ذلك إنما هو تكميل عبودية الله فى الظاهر والباطن ، فتكون حركات نفسه وجسمه كلها فى محبوبات الله ، وكمال عبودية العبد موافقته لربه فى محبته ما أحبه ، وبذل الجهد فى فعله ، وموافقته فى كراهة ما كرهه ، وبذل الجهد فى تركه ، وهذا إنما يكون للنفس المطمئنة لا للأمارة ولا للوامة فهذا كمال من جهة الإرادة والعمل .

وأما من جهة العلم والمعرفة فأن تكون بصيرته منفتحة فى معرفة الأسماء والصفات والأفعال . له شهود خاص فيها ، مطابق لما جاء به الرسول ﷺ ،

---

(١) زيادة لا يستقيم المعنى إلا بها .

(٢) طريق الهجرتين (٢٨٧) .

لا مخالف له ، فإن بحسب مخالفته له فى ذلك يقع الانحراف ، ويكون مع ذلك قائماً بأحكام العبودية الخاصة التى تقتضيها كل صفة بخصوصها ، وهذا سلوك الأكياس الذين هم خلاصة العالم ، والسالكون على هذا الدرب أفراد من العالم ، طريق سهل قريب موصل طريق آمن ، أكثر السالكين فى غفلة عنه ، ولكن يستدعى رسوخاً فى العلم ومعرفة تامة به ، وإقداماً على رد الباطل المخالف له ولو قاله من قاله[1] .

كذلك كانت تزكية النبى ﷺ لنفوس أصحابه من شرك الألوهية كلما سنحت فرصة . قال للصحابة يوماً على إثر سماء من الليل ، أتدرون ماذا قال ربكم الليلة ؟ قالوا ! الله ورسوله أعلم ، قال : قال أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر : فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى كافر بالكوكب ، وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بى مؤمن بالكوكب »[2]

وقال ﷺ: لا تقولوا ماشاء الله وشاء فلان ولكن قولوا : ماشاء الله ثم شاء فلان »[3] .

وكذلك قصة ذات الأنواط[4] وغير ذلك مما كان يزكى به النبى ﷺ قلوب أصحابه حتى صاروا أبر الأمة قلوباً وأعمقها علماً .

٢ - التزكية بفعل الواجبات وترك المحرمات :

وهذه تزكية واجبة بعد التزكية بالتوحيد ، وأولى ما يتقرب به العبد إلى ربه بعد توحيد الله عز وجل أداء الفرائض واجتناب المحرمات ، والعمدة فى ذلك حديث الولى فى صحيح البخارى عنه ﷺ قال : قال الله تعالى : « وما

(١) طريق الهجرتين (٢٩٩ ، ٣٠٠) .

(٢) رواه البخارى (٣٣٣/٢) صفة الصلاة ، ومسلم (٥٩/٢ ، ٦٠) الإيمان ، ومالك فى الموطأ (١٩٢/١) الاستسقاء ، وأبو داود (٣٨٨٨) الطب والنسائى (١٦٥/٣) الاستسقاء .

(٣) رواه أبو داود (٤٩٥٩) الأدب ، وأحمد (٣٨٤/٥) وصححه الألبانى فى الصحيحة رقم (١٣٧) .

(٤) رواه البخارى (٢٨٣/١٠) اللباس ، ومسلم (٩٤/١) الإيمان .

تقرب إلىَّ عبدى بشىء أحبَّ إلىَّ مما افترضته عليه [1]

قال ابن حجر رحمه الله : ويستفاد منه أن أداء الفرائض أحب الأعمال إلى الله » قال الشوكانى : وجه ذلك أن النكرة وقعت فى سياق النفى فتعم كل ما يصدق عليه معنى الشيء ، فلا يبقى شيء من القرب إلا وهو داخل فى هذا العموم ، لأن كل قربة كائنة ما كانت يقال لها شيء ، سواءٌ كانت من الأفعال أو الأقوال ، أو مضمرات القلوب أو الخواطر الواردة على العبد أو التروك للمعاصى التى هى ضد فعلها .

قال الطوفى : الأمر بالفرائض جازم ويقع بتركها المعاقبة بخلاف النفل فى الأمرين ، وإن اشتركت مع الفرائض فى تحصيل الثواب ، فكانت الفرائض أكمل ، فلذا كانت أحب إلى الله ، وأشد تقرباً ، فالفرض كالأس ، والنفل كالفرع والبناء ، وفى الإتيان بالفرائض على الوجه المأمور به امتثال الأمر واحترامه وتعظيمه بالانقياد إليه وإظهار عظمة الربوبية وذل العبودية ، فكان التقرب بذلك أعظم العمل .

قال الشوكانى رحمه الله : واعلم أن من أعظم فرائض الله سبحانه ترك معاصيه التى هى حدوده ، التى من تعداها كان عليه من العقوبة ما ذكره الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز ، ولا خلاف أن الله افترض على العباد ترك كل معصية كائنة ما كانت ، فكان ترك المعاصى من هذه الحيثية داخلا تحت عموم قوله : « وماتقرب إلىَّ عبدى بشىء أحبَّ إلىَّ مما افترضت عليه » بل دخول فرائض الترك للمعاصى أولى من دخول فرائض الطاعات كما يدل عليه حديث « إذا أمرتكم بشىء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شىء فلا تقربوه »[2] .

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : أفضل الأعمال أداء ما افترض الله ، والورع عما حرم الله ، وحسن النية فيما عند الله عز وجل[3] ، والمقصود أن

(1) رواه البخارى (٢٣١/٤) ، وأبو نعيم فى الحلية (٤/١) والبغوى فى شرح السنة (٢/١٤٢/١) – السلسلة الصحيحة ١٦٤٠ .

(2) رواه مسلم (١٠٠/٩ ، ١٠١) الحج باب فرض الحج مرة .

(3) ولاية الله والطريق إليها (٣٦٩) بتصرف واختصار .

أهل السنة يزكون أنفسهم بعد التوحيد بتكميل الفرائض من فعل الواجبات وترك المحرمات ، فلا يفتحون على أنفسهم أبواب النوافل ، وهم بعد مقصورون فى أداء الفرائض ، كما يذهب كثير من الناس إلى الحج والعمرة كل عام ولا يؤدون زكاة أموالهم ، أو يهتمون ببناء المساجد وينفقون فى أبواب البر لا بنية الزكاة الواجبة فى المصارف الثمانية التى حددها الله عز وجل ويصح هنا قول القائل : من شغله الفرض عن النفل فهو معذور ومن شغله النفل عن الفرض فهو مغرور .

والله عز وجل لا يقبل النفل حتى تؤدى الفريضة ، فأهل السنة يزكون أنفسهم بالمشروع ، ومع ذلك يقدمون فى العمل ما قدمه الله ورسوله ﷺ كما قال النبى ﷺ « نبدأ بما بدأ الله به» ثم تلا ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللهِ ﴾ [البقرة : ١٥٨] .

ومن تلبيس الشيطان على العبد أن يشغله بالعمل المفضول عن الفاضل ، وقد ظهر أن الفرائض أفضل وأنفع للعبد من النوافل ، فينبغى أن يكمل العبد فرائضه أولا ، ثم يزداد تقرباً وتحبباً إلى الله عز وجل بالنوافل .

٣ - التزكية بالنوافل

النوافل هى ما عدا الفرائض من جميع أجناس الطاعات ، وكل ما ندب الله سبحانه إليه ورغب فيه من غير حتم وافتراض ، وتختلف النوافل باختلاف ثوابها ، فما كان ثوابه أكثر كان فعله أفضل ، وتختلف كذلك باختلاف ماورد فى الترغيب فيها ، فبعضها قد يقع الترغيب فيه ترغيباً مؤكداً ، وقد يلازمه النبى ﷺ مع الترغيب للناس فى فعله .

قال النبى ﷺ : « ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه »[1] .

قال الحافظ رحمه الله : وقد استشكل بما تقدم أولا أن الفرائض أحب

(١) جزء من حديث الولى وقد تقدم تخريجه ص (٢٢) .

العبادات المتقرب بها إلى الله فكيف لا تنتج المحبة ؟ والجواب أن ما كانت حاوية للفرائض مشتملة عليها ومكملة لها ، ويؤيده أن رواية أبى أمامة : « ابن آدم إنك لن تدرك ما عندى إلا بأداء ما افترضت عليك » .

قال الفاكهانى : معنى الحديث أنه إذا أدى الفرائض ودام على إتيان النوافل من صلاة وصيام وغيرهما أفضى به ذلك إلى محبة الله .

قلت : ويفهم منه أن العبد إذا قصر فى الفرائض وأكثر من النوافل لاتكون هذه الطريق موصلة له إلى محبة الله عز وجل : فلا يتم التقرب بالنوافل حتى يتقرب أولا بالفرائض ، فهذه سبيل التزكية عند أهل السنة .

وقال ابن هبيرة : ويؤخذ من قوله: « ما تقرب ... إلخ » أن النافلة لا تقدم على الفريضة ، لأن النافلة إنما سميت نافلة لأنها تأتى زائدة على الفريضة فما لم تؤد الفريضة لا تحصل النافلة ، ومن أدى الفرائض ثم زاد عليه النفل وأدام ذلك تحققت منه إرادة التقرب انتهى . وأيضاً فقد جرت العادة أن التقرب يكون غالباً بغير ما وجب على المتقرب كالهدية والتحفة بخلاف من يؤدى ما عليه من خراج أو يقضى ما عليه من دين ، وأيضاً فإن من جملة ماشرعت له النوافل جبر الفرائض ، كما صح فى الحديث
« انظروا هل لعبدى من تطوع فتكمل به فريضته »[1] الحديث بمعناه .

فتبين أن المراد من التقرب بالنوافل أن تقع ممن أدى الفرائض لا من أَخَلَّ بها .

وقال الشوكانى رحمه الله : إن العبد لما كان معتقداً لوجوب الفرائض عليه ، وأنه أمر حتم يعاقب على تركها ، كان ذلك بمجرده حاملا له على المحافظة عليها والقيام بها ، فهو يأتى بها بالإيجاب الشرعى والعزيمة الدينية ، أما النوافل فهو يعلم أنه لا عقاب فى تركها فإذا فعلها كان ذلك لمجرد التقرب إلى الرب خاليا عن حتم عاطلا عن حزم ، فجوزى على ذلك بمحبة الله له ، وإن

(١) رواه أبو داود (٨٥٠) الصلاة والنسائى (٢٣٢/١ ، ٢٣٣) والحاكم (٢٦٢/١) الصلاة وصححه على شرط مسلم وقال الذهبى صحيح وصححه كذلك عبد القادر الأرنؤوط .

كان أجر الفرض أكثر ، فلا ينافى أن تكون المجازاة بما كان الحامل عليه هو محبة التقرب إلى الله أن يحب الله فاعله لأنه فعل مالم يوجبه الله عليه ، ولا عزم عليه بأن يفعله .

ومثال هذا فى الأفعال المشاهدة فى ابن آدم أن السيد إذا أمر عبده بأن يقضى له فى كل يوم حاجة أو حوائج ، وكذلك أمر من له من المماليك بمثل ذلك ، فكان أحدهم يقضى له تلك الحوائج ثم يقضى له حوائج أخرى يعلم أن سيده يحب قضاءَها وتحسن لديه ، والآخرون لا يقضون له إلا تلك الحوائج التى أمرهم السيد بها ، فمعلوم أن ذلك العبد الذى صار يأتى له كلَّ يوم بما أمره به وبغيره مما يحبه ، يستحق المحبة من السيد محبة زائدة على محبته لكل واحد منهم ، فالمراد من الحديث هذه المحبة الزائدة الحاصلة من فعله لما يحبه سيده من غير أمر منه ، مع قيامه بما قام به غيره من امتثال أمر السيد والتبرع بالزيادة التى لم يأمره بها[1] .

وهذه مجموعة من نوافل الطاعات الثابتة عن النبى ﷺ أذكر بها من أكمل فرائضه وأحب أن يزداد زكاة ومحبة لله عز وجل .

١ - نوافل الصلاة :

من نوافل الصلاة المرغوب فيها المؤكد فى استحبابها **رواتب الفرائض** وهى كما فى الصحيحين وغيرهما من حديث عبد الله بن عمر قال : « حفظت عن رسول الله ﷺ وآله : ركعتين قبل الظهر ، وركعتين بعد الظهر ، وركعتين بعد المغرب ، وركعتين بعد العشاء ، وركعتين قبل الغداة »[2] .

وأخرجه مسلم بمعناه لكن زاد : « قبل الظهر أربعاً »[3]

وفضل هذه النوافل مارواه مسلم وأهل السنن من حديث أم حبيبة بنت أبى

---

(١) ولاية الله والطريق إليها (٤١٩) بتصرف .

(٢) رواه البخارى (٤٨/٣) التهجد وفيه زيادة « وركعتين بعد الجمعة » ، ومسلم (٧/٦ ، ٨) الصلاة وأبو داود (١٢٣٩) بمعناه .

(٣) رواية مسلم (٨/٦) الصلاة عن عائشة رضى الله عنها .

سفيان عن النبى ﷺ قال : « من صلى فى يوم وليلة اثنتى عشرة سجدة سوى المكتوبة ، بنى له بيت فى الجنة »[1] .

ومن نوافل الصلاة المؤكدة قيام الليل :

روى مسلم عنه ﷺ قال : « أفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل »[2] .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يصلى ما بين أن يفرغ من صلاة العشاء إلى الفجر إحدى عشرة ركعة ، يسلم بين كل ركعتين ، ويوتر بواحدة »[3] .

ومن النوافل صلاة الضُّحَى

والأحاديث فى مشروعيتها متواترة منها ما فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : أوصانى خليلى ﷺ بثلاث : « صيام ثلاثة أيام من كل شهر وركعتى الضحى وأن أوتر قبل أن أنام »[4] .

ومن نوافل الصلاة المؤكدة صلاة تحية المسجد :

عن أبى قتادة رضى الله عنه قال : قال النبى ﷺ : « إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلى ركعتين »[5]

ومن النوافل : الصلاة عقب الوضوء .
والصلاة بين الأذان والإقامة .
ومطلق التنفل إلا فى أوقات الكراهة .

---

(١) رواه مسلم (٦/٦) الصلاة : وأبو داود (١٢٣٧) أبواب التطوع .

(٢) رواه مسلم (٥٥/٨) الصوم من حديث أبى هريرة .

(٣) رواه البخارى (٢٠/٣) التهجد بلفظ « ثلاث عشرة منها الوتر وركعتا الفجر ، ورواه مسلم (٦ /١٦) الصلاة ، وأبو داود (١٣٢٢) أبواب صلاة الليل .

(٤) رواه البخارى (٥٦/٣) التهجد،رواه مسلم (٢٣٤/٥) الصلاة عن أبى هريرة ورواه بمعناه عن أبى الدرداء (٢٣٥/٥) .

(٥) رواه البخارى (٤٨/٣) التهجد و مسلم (٢٢٧/٥) الصلاة ومالك فى الموطأ (١٦٢/١) قصر الصلاة ، والثلاثة .

٢ - نوافل الصيام :

صوم شهر المحرم روى مسلم وأهل السنن أن النبى ﷺ سئل أى الصيام بعد شهر رمضان أفضل ؟ فقال : «شهر الله المحرم »[١]

ومنه صيام يوم عرفة ويوم عاشوراء

عن أبى قتادة قال : قال رسول الله ﷺ : « صوم يوم عرفة يكفر سنتين ماضية ومستقبله ، وصوم يوم عاشوراء يكفر سنة ماضية »[٢] .

ومنه صيام ست من شوال

عن أبى أيوب عن رسول الله ﷺ قال : « من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال فذلك صيام الدهر »[٣] .

ومنه صوم شعبان

أخرج أحمد وأهل السنن من حديث أم سلمة «أن النبى ﷺ لم يكن يصوم من السنة شهراً تاماً إلا شعبان يصل به رمضان »[٤] . وحسنه الترمذى والمعنى يكثر من صيام شعبان لأنه لم يثبت أن النبى ﷺ صام شهراً كاملاً إلا رمضان .

ومنه مطلق التنفل ويكفى فى مطلق التنفل بالصيام قوله ﷺ : « من صام يوماً فى سبيل الله باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفاً »[٥] .

---

(١) رواه مسلم (٨/٥٥) الصوم والبغوى فى شرح السنة (٦/٣٤١) الصوم .

(٢) رواه مسلم (٨/٥١) الصيام وأبو داود (٢٤٠٨) الصوم .

(٣) رواه مسلم (٨/٢٦) الصيام وأحمد (٥/٤١٧) (٥/٤١٩) ، وأبو داود (٢٤١٦) الصوم والترمذى (٣/٢٩٠) الصوم .

(٤) رواه الدرامى(٢/١٧) قال فى تحقيق شرح السنة ورجاله ثقات رواه أحمد (٦/٨٤ ، ١٤٣) والنسائى (٤/١٩٩) الصوم وأبو داود (٢٤١٨) الصوم بمعناه عن عائشة رضى الله عنها .

(٥) رواه البخارى (٦/٤٧) الجهاد ، ومسلم (٨/٣٣) الصوم ، والترمذى (٧/١٢٤) الجهاد ، والنسائى (٤/١٧٣) الصوم .

٣ - نوافل الحج والعمرة : -

فى الصحيحين وغيرهما أن النبى ﷺ قال : « العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة »[١] وقال ﷺ : « من حجَّ فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه »[٢] .

٤ - نوافل الصدقة :

قال الله عز وجل : ﴿ وَمَا أَنفَقْتُمْ مِن شَىءٍ فَهُوَ يُخْلِفُه وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ [سبأ : ٣٩] .

عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان من السماء فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقاً خلفاً ، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكاً تلفاً[٣] وفى صحيح مسلم من حديث أبى أمامة قال : قال رسول الله ﷺ : « ياابن آدم إنك إن تبذل الفضل خير لك وإن تمسكه شر لك ولا تلام على كفاف وابدأ بمن تعول ، واليد العليا خير من اليد السفلى »[٤] .

وفى الصحيحين وغيرهما من حديث أسماء بنت أبى بكر قالت : قال لى رسول الله ﷺ وآله « لا توكى فيوكى الله عليك »[٥] أى لا تبخلى .

٥ - نوافل الأذكار :

قال الله تعالى : ﴿ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَر ﴾ [العنكبوت : ٤٥] أى أكبر مما سواه من الأعمال الصالحة .

---

(١) رواه البخارى (٥٩٧/٣) العمرة ، ومسلم (١١٧/٩ ، ١١٨) الحج والترمذى (١٦٥/٤) الحج .

(٢) رواه البخارى (٣٨٢/٣) الحج ، ومسلم (١١٩/٩) الحج والترمذى (٢٦/٤) الحج .

(٣) رواه البخارى (٣٠٤/٣) الزكاة ، ومسلم (٩٥/٧) الزكاة .

(٤) رواه مسلم (١٢٧/٧) الزكاة ، والترمذى (٢٠٧/٩) أبواب الزهد .

(٥) رواه البخارى (٣٠٠/٣) الزكاة ، (٣٠١/٣) الزكاة ومسلم (١١٨/٧) الزكاة .

وقال عز وجل : ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ [البقرة : ١٥٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الجمعة : ١٠] .

وفى الصحيحين وغيرهما من حديث أبى موسى : « الذى يذكر ربه والذى لا يذكر ربه مثل الحى والميت »[1] .

٦ - التقرب والتزكية بالدعاء :

قال النبى ﷺ : (الدعاء هو العبادة) ثم تلا هذه الآية ﴿ وَقَالَ رَبُّكُم ادْعُونِي اسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[2] [غافر : ٦٠] .

وقال عز وجل : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾ [النمل : ٦٢] .

وقال : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة : ٨٦] .

وعن أنس مرفوعاً « لا تعجزوا فى الدعاء فإنه لن يهلك مع الدعاء أحد »[3] .

وعن أبى سعيد عنه ﷺ : « ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث : إما أن يعجل له دعوته ، وإما أن يدخرها له فى الآخرة وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها »[4] .

---

(١) رواه البخارى (٢٠٨/١١) الدعوات ومسلم (٦٨/٦) صلاة المسافرين بلفظ « مثل البيت الذى لا يذكر الله فيه والبيت الذى يذكر الله فيه مثل الحى والميت » .

(٢) رواه الترمذى (٢٦٧/١٢) التفسير وقال هذا حديث حسن صحيح ورواه ابن حبان (٢٣٩٦) الأدعية والحاكم (٤٩١/١) الدعاء وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقال الذهبى : صحيح .

(٣) رواه ابن حبان (٢٣٩٨ موارد) الأدعية والحاكم (٤٩٤/١) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقال الذهبى صحيح .

(٤) رواه الحاكم (٤٩٣/١) وقال هذا حديث صحيح إلا أن الشيخين لم يخرجاه وقال الذهبى صحيح ورواه الترمذى بمعناه عن أبى الزبير عن جابر (٢٧٣/١٢) .

وعن سلمان عنه ﷺ قال « إن ربكم حيى كريم يستحى إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفراً خائبتين »[1] .

٧ - التزكية والتقرب بالصلاة على النبى ﷺ

ومما تزكو النفس بملازمته والاستكثار منه الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من صلى عَلَىَّ واحدة صلى الله عليه عشراً »[2] .

فانظر إلى هذا الأمر العظيم والجزاء الكريم ، يصلى العبد على الرسول ﷺ واحدة ، فيصلى عليه خالق العالم ورب الكل عز وجل عشر مرات ؟ فهذا ثواب لا يعادله ثواب وجزاء لا يساويه جزاء وأجر لا يماثله أجر .

وبعد أن ذكرنا هذه المجموعة الطيبة من النوافل على سبيل التذكير لمن أراد أن يزكى نفسه بالنوافل بعد الفرائض ، يظهر جلياً كيف أغنانا الله بالوسائل المشروعة لتزكية النفوس ، ونوع الأعمال الصالحة التى يدخل العبد بها على الله عز وجل .

قال ابن القيم رحمه الله : من الناس من يكون سيد عمله الذكر وقد جعله زاده لمعاده ورأس ماله لمآله ، فمتى فتر عنه أو قصر رأى أنه قد غبن وخسر ، ومن الناس من يكون سيد عمله وطريقه الصلاة فمتى قصر فى ورده منها ، أو مضى عليه وقت وهو غير مشغول بها أو مستعد لها ، أظلم عليه وقته ، وضاق صدره ، ومن الناس من يكون طريقه الإحسان والنفع المتعدى ، كقضاء الحاجات وتفريج الكربات وإغاثة اللهفات وأنواع الصدقات ، قد فتح له فى هذا وسلك منه طريقاً إلى ربه ، ومن الناس من يكون طريقه الصوم ، فهو متى أفطر تغير عليه قلبه وساءت حاله ، ومن الناس من يكون طريقه تلاوة

(١) رواه ابن حبان (٣٩٩) موارد الادعية.والحاكم (٤٩٧/١) وقال اسناده صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبى .

(٢) رواه مسلم (١٢٨/٤) الصلاة ، والترمذى (٢٧٠/٤) الصلاة ، وأبو داود (١٥١٦) الصلاة ، والنسائى (٥٠/٣) السهو عن أنس وفيه زيادة « وحطت عنه عشر خطيئات ورفعت له عشر درجات » .

القرآن ، وهى الغالب على أوقاته ، وهى أعظم أوراده ، ومنهم من يكون طريقه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، قد فتح الله له فيه ونفذ منه إلى ربه ، ومنهم من يكون طريقه الذى نفذ فيه الحج والاعتمار ، ومنهم من يكون طريقه قطع العلائق ، وتجريد الهمة ، ودوام المراقبة ، ومراعاة الخواطر ، وحفظ الأوقات أن تذهب ضائعة ، ومنهم جامع المنفذ السالك إلى الله فى كل وادٍ ، الواصل إليه من كل طريق ، فهو جعل وظائف عبوديته قبلة قلبه ونصب عينه يؤمها أين كانت ويسير معها حيث سارت ، قد ضرب مع كل فريق بسهم ، فأين كانت العبودية وجدته هناك إن كان علم وجدته مع أهله ، أو جهاد وجدته فى صف المجاهدين ، أو صلاة وجدته فى القانتين ، أو ذكر وجدته فى الذاكرين ، أو إحسان ونفع وجدته فى زمرة المحسنين ، أو محبة ومراقبة وإنابة إلى الله وجدته فى زمرة المحبين المنيبين ، يدين بدين العبودية أنى استقلت ركابها ، ويتوجه إليها حيث استقرت مضاربها ، لو قيل له : ما تريد من الأعمال ؟ لقال : أريد أن أنفذ أوامر ربى حيث كانت وأين كانت ، جالبة ما جلبت ، مقتضية ما اقتضت ، جمعتنى أو فرقتنى ، ليس لى مراد إلا تنفيذها والقيام بأدائها ، مراقباً له فيها ، عاكفاً عليه بالروح والقلب والبدن والسر ، قد سلمت له المبيع منتظراً منه تسليم الثمن : ﴿ إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾ [التوبة : ١١١] .

فهذا هو العبد السالك إلى ربه النافذ إليه حقيقة .[1] .

فهذه طريقة ومناهج التزكية عند السلفيين أهل السنة والجماعة ، جعلها الله عز وجل كثيرة متنوعة جداً ؛ لاختلاف استعدادات العباد وقوابلهم ، ولو جعلها نوعاً واحداً مع اختلاف الأذهان والعقول وقوة الاستعدادات وضعفها لم يسلكها إلا واحد بعد واحد ، مع أن كل هذه طريق واحد ، وهو صراط الله المستقيم كما قال تعالى : ﴿ وأَنَّ هَذَا صِرَاطِى مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ ، وَلَاتَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾ [الأنعام : ١٥٣] .

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين (١٧٩) .

منهج التزكية عند الصوفية

لاشك أن الصوفية من أجهل الفرق الإسلامية بآثار النبوة ، وأكثرها ترويجاً للأحاديث الضعيفة والموضوعة ، وذلك واضح جلى فى مصنفاتهم فإنها مليئة بالأخبار الموضوعة ومالا أصل له ، أضف إلى ذلك كثرة الحكايات والمنامات والخرافات يعوضون بها فقرهم بالآثار النبوية والسنن المصطفوية ، ويظهر ذلك كذلك فى مناهج التزكية عندهم ، حيث يطلبون زكاة نفوسهم بالإنشاد والمكاء والتصدية وتكلف مالم يشرعه الله عز وجل ولا رسوله ﷺ من العبادات ، وهذه بعض وسائلهم فى التزكية .

١ - الصوفية يزكون أنفسهم - زعموا - بالمكاء والتصدية والغناء والتصفيق ويتواجدون عند ذلك حتى روى بعضهم كذباً أن النبى ﷺ أنشده أعرابى شعراً فقال :

قَدْ لَسَعَتْ حَيَّةُ الهَوى كَبِدِى
فَلَا طَبِيْبَ لَهَـا وَلَارَاقِـى
سِوى الحَبِيبُ الَّذِى شُغِفْتُ بِهِ
فَمِنْهُ دَائِـى وَمِنْـهُ تِرْياق

وأن النبى ﷺ تواجد حتى سقطت البردة عن منكبيه وقال : « ليس بكريم من لم يتواجد عند ذكر المحبوب » .

قال شيخ الإسلام : وهذا حديث كذب بإجماع العارفين بسيرة رسول الله ﷺ وسنته وأحواله .[1] .

وقال كذلك :

وبالجملة فقد عرف بالاضطرار من دين الإسلام أن النبى ﷺ لم يشرع لصالحى أمته وعبادهم وزهادهم أن يجتمعوا على استماع الأبيات الملحنة مع ضرب بالكف أو ضرب بالقضيب أو الدف ، كما لم يبح لأحدٍ أن يخرج عن

(١) مجموع الفتاوى (٥٩٨/١١) .

متابعته واتباع ماجاء به من الكتاب والحكمة لا فى باطن الأمر ولا فى ظاهره ، ولا لعامى ولا لخاصى ، ولكن رخص النبى ﷺ فى أنواع من اللهو فى العرس ونحوه كما رخص للنساء أن يضربن بالدف فى الأعراس والأفراح ، وأما الرجال على عهده فلم يكن أحدٌ منهم يضرب بالدف ولا يصفق بكف ، بل قد ثبت عنه فى الصحيح أنه قال : التصفيق للنساء والتسبيح للرجال ، ولعن المتشبهات من النساء بالرجال ، والمتشبهين من الرجال بالنساء .

ولما كان الغناء والضرب بالدف والكف من عمل النساء كان السلف يسمون من يفعل ذلك من الرجال مخنثاً ، ويسمون الرجال المغنيين مخانيثاً وهذا مشهور من كلامهم .[1] .

إلى أن قال رحمه الله :

وبالجملة فهذه (مسألة السماع) تكلم كثير من المتأخرين فى السماع هل هو محظور أو مكروه أو مباح ، وليس المقصود بذلك مجرد رفع الحرج بل مقصودهم بذلك أن يتخذ طريقاً إلى الله يجتمع عليه أهل الديانات لصلاح القلوب والتشويق إلى المحبوب والتخويف من المرهوب والتحزن على فوات المطلوب ، فتستنزل به الرحمة وتستجلب به النعمة وتحرك به مواجيد أهل الإيمان وتستجلى به مشاهد أهل العرفان حتى يقول بعضهم ، إنه أفضل لبعض الناس أو للخاصة من سماع القرآن من عدة وجوه ، حتى يجعلونه قوتاً للقلوب ، وغذاءً للأرواح ، وحادياً للنفوس ، يحدوها إلى السير إلى الله ويحثها على الإقبال عليه .

ولهذا يوجد من اعتاده واغتذى به لا يحن إلى القرآن ، ولا يفرح به ، ولا يجد فى سماع الآيات كما يجد فى سماع الأبيات ، بل إذا سمعوا القرآن سمعوه بقلوب لاهية وألسن لاغية ، وإذ سمعوا سماء المكاء والتصدية خشعت الأصوات ، وسكنت الحركات وأصغت القلوب وتعاطت المطلوب .

---

(١) مجموع الفتاوى (٥٦٧/١١ ، ٥٦٨) .

وقال رحمه الله : ومن كانت له خبرة بحقائق الدين وأحوال القلوب ومعارفها وأذواقها ومواجيدها عرف أن سماع المكاء والتصدية لا يجلب للقلوب منفعة ولا مصلحة إلا وفى ضمن ذلك من الضرر والمفسدة ما هو أعظم منه ، فهو للروح كالخمر للجسد ، يفعل فى النفوس فعل حميا الكؤوس ، ولهذا يورث أصحابه سكراً أعظم من سكر الخمر فيجدون فيه لذة بلا تمييز ، كما يجد الشارب بل يحصل لهم أكثر وأكبر مما يحصل لشارب الخمر ، يصدهم ذلك عن ذكر الله وعن الصلاة أعظم مما يصدهم الخمر ، ويوقع بينهم العداوة والبغضاء أعظم من الخمر ، حتى يقتل بعضهم بعضاً من غير مس يدٍ بل بما يقترن بهم من الشياطين ، فإنهم يحصل لهم أحوال شيطانية بحيث تتنزل عليهم الشياطين فى تلك الحال »[1] .

وقال ابن الجوزى ما ملخصه : —

هذه الطائفة إذا سمعت الغناء تواجدت وصفقت وصاحت ومزقت الثياب ، وقد لبس عليهم إبليس فى ذلك وبالغ واحتجوا بما روى عن سلمان : لما نزلت ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّم لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِيْنَ ﴾ صاح سلمان الفارسى صيحة ووقع على رأسه ثم خرج هارباً ثلاثة أيام . والجواب أن ما ذكروه عن سلمان فمحالٌ وكذب ، ثم ليس له إسناد والآية نزلت بمكة وسلمان إنما أسلم بالمدينة ، ولم ينقل عن أحدٍ من الصحابة مثل هذا أصلا .

قال واعلم وفقك الله أن قلوب الصحابة كانت أصفى القلوب ، وما كانوا يزيدون عند الوجد على البكاء والخشوع ، قال : وهذا حديث العرباض بن سارية « وعظنا رسول الله ﷺ موعظة ذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب »[2] قال أبو بكر الآجرى : ولم يقل صرخنا ولا ضربنا صدورنا كما يفعل كثير من الجهال الذين يتلاعب بهم الشيطان .

---

(١) مجموع الفتاوى (٥٧٣/١١ ، ٥٧٤) .

(٢) رواه أبو داود (٣٥٩/١٢ ، ٣٦٠) السنة ، والترمذى (١٤٣/١٠ ، ١٤٤) أبواب العلم ، وقال الترمذى حديث حسن صحيح ، وابن ماجه (٤١) المقدمة وصححه الألبانى .

قال : والتصفيق منكر يطرب ويخرج عن حد الاعتدال ويتنزه عن مثله العقلاء ويتشبه فاعله بالمشركين فيما كانوا يفعلونه عند البيت من التصدية ، وهى التى ذمهم الله عز وجل بها فقال : ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً ﴾ [الأنفال : ٣٥] فالمكاء الصفير والتصدية التصفيق .

قال : فإذا قوى طربهم رقصوا ، وقد احتج بعضهم بقوله تعالى لأيوب ﴿ أرْكُضْ بِرِجْلِكَ ﴾ [ص : ٤٢] قال : وهذا الاحتجاج بارد لأنه لو كان أمر بضرب الرجل فرحاً كان لهم فيه شبهة ، وإنما أمر بضرب الرجل لينبع الماء . قال ابن عقيل : أين الدلالة فى مبتلى أمر عند كشف البلاء بأن يضرب برجله الأرض لينبع الماء إعجازاً من الرقص . [الإسراء : ٣٧]

قال أبو الوفاء بن عقيل : وقد نص القرآن على النهى عن الرقص فقال عز وجل ﴿ وَلَاتَمْشِ فِى الْأَرْضِ مَرَحاً ﴾ وذم المختال فقال ﴿ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾[لقمان : ١٨] .

قال ابن الجوزى : فإذا تمكن الطرب من الصوفية فى حال رقصهم جذب أحدهم بعض الجلوس ليقوم معه ، ولا يجوز على مذهبهم للمجذوب أن يقعد ، فإذا قام قام الباقون تبعاً له ، فإذا كشف أحدهم رأسه كشف الباقون رؤوسهم موافقة له ، ولا يخفى على عاقل أن كشف الرأس مستقبح ، وفيه إسقاط مروءة وترك أدب ، وإنما يقع فى المناسك تعبداً لله وذلا له .

٢ - الصوفية يَدَّعُونَ تزكية أنفسهم بالاسم المفرد مظهراً أو مضمراً قال شيخ الإسلام : - الشرع لا يستحب من الذكر إلا ما كان كلاما تاماً مفيداً مثل « لا إله إلا الله » ، ومثل « الله أكبر » ، ومثل « سبحان الله » ، ومثل « لا حول ولا قوة إلا بالله » .

فأما الأسم المفرد مظهراً مثل « الله » « الله » أو مضمراً مثل « هو » « هو » فهذا ليس بمشروع فى كتاب ولا سنة ، ولا هو مأثور أيضاً عن أحدٍ من سلف الأمة ، ولا عن أعيان الأمة المقتدى بهم ، وإنما لهج به قوم من ضلال المتأخرين .

وربما غلا بعضهم حتى يجعلوا الإسم المفرد للخاصة ، وذكر الكلمة التامة للعامة ، وربما قال بعضهم « لا إله إلا الله للمؤمنين ، و« الله » للعارفين «هو» للمحققين وربما اقتصر أحدهم فى خلوته أو فى جماعته على « الله الله الله » أو على « هو » أو « ياهو » أو « لاهو إلا هو » وربما ذكر بعض المصنفين فى الطريق تعظيم ذلك .

وأما مايتوهمه طائفة من غالطى المتعبدين فى قوله تعالى : ﴿ قُلْ اللهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ ﴾ ويتوهمون أن المراد قول هذا الأسم فخطأ واضح ، ولو تدبروا ما قبل هذا تبين مراد الآية فإنه سبحانه قال :﴿ وَمَاقَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا : ما أَنْزَلَ اللهُ عَلَى بَشَرٍ مِن شَىءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الكِتَابَ الذِى جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدَىً لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيْسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً وَعُلِّمْتُم مَّالَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَاءَابَاؤُكُمْ قُلْ اللهُ ﴾ أى قل الله أنزل الكتاب الذى جاء به موسى ، فهذا كلام تام وجملة أسمية مركبة من مبتدأ وخبر .

إلى أن قال : وكذلك بالأدلة العقلية الذوقية ، فإن الاسم وحده لا يعطى إيماناً ولا كفراً ولا هدى ولا ضلالة ولا علما ولا جهلا ، ولو كرر الإنسان إسم الله ألف مرة لم يصر بذلك مؤمنا ولم يستحق ثواب الله ولا جنته ، فإن الكفار من جميع الأمم يذكرون الاسم المفرد سواء أقروا به وبوحدانيته أم لا .

فإن قيل فالذاكر والسامع للاسم المجرد قد يحصل له وجد محبة وتعظيم لله ونحو ذلك .

قلت : نعم ويثاب على ذلك الوجد المشروع والحال الإيمانى ، لا لأن الإسم مستحب ، وإذا سمع ذلك حرك ساكن القلب ، وقد يتحرك الساكن بسماع ذكر محرم أو مكروه ، حتى قد يسمع المسلم من يشرك بالله أو يسبه فيثور فى قلبه حال وجد ومحبة لله بقوة نفرته وبغضه لما سمعه .

والعبد أيضاً قد يدعوه داع إلى الكفر أو المعصية فيستعصم ويمتنع ويورثه ذلك إيماناً وتقوى ، وليس السبب مأموراً به ، وقد قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيْمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ

وَنِعْمَ الوَكِيلُ ﴾ [آل عمران : ١٧٣] ففرق بين أن يكون نفس السبب موجباً للخير ومقتضيا ، وبين أن لا يكون ، وإنما نشأ الخير من المحل .

فثبت بما ذكرناه أن ذكر الاسم المجرد ليس مستحباً ، فضلا عن أن يكون هو ذكر الخاصة .

وأبعد من ذلك ذكر « الاسم المضمر » وهو « هو » فإن هذا بنفسه لايدل على معين ، وإنما هو بحسب ما يفسره من مذكور أو معلوم ، فيبقى معناه بحسب قصد المتكلم ونيته ، ولهذا قد يذكر به من يعتقد أن الحق الوجود المطلق ، وقد يقول : لا هو إلا هو ، ويسرى قلبه فى وحدة الوجود ، ومذهب فرعون والإسماعيلية وزنادقة هؤلاء المتصوفة المتأخرين ، بحيث يكون قوله « هو » كقوله « وجوده » وقد يعنى بقوله « لا هو إلا هو » أى أنه هو الوجود وأنه ما ثم خلق أصلا ، وأن الرب والعبد والحق والخلق شيء واحد كما بينته من مذهب الاتحادية ، ومن أسباب هذه الاعتقادات والأحوال الفاسدة الخروج عن الشريعة والمنهاج الذى بعث به الرسول إلينا ﷺ ، فإن البدع هى مبادىء الكفر ومظان الكفر ، كما أن السنن المشروعة هى مظاهر الإيمان ومقوية للإيمان ، فإنه يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية .

٣ - الصوفية يَدَّعُون تزكية أنفسهم - بتحريم ما أحل الله من المطاعم والمشارب ولبس الصوف وتكلف مالم يشرعه الله عز وجل من العبادات :

قال ابن الجوزى رحمه الله : - وقد بالغ إبليس فى تلبيسه على قدماء الصوفية فأمرهم بتقليل المطعم وخشونته ، ومنعهم شرب الماء البارد ، وكان فى القوم من يبقى الأيام لا يأكل إلا أن تضعف قوته ، ومنهم من يتناول كل يوم الشيء اليسير الذى لا يقيم البدن ، وقد كان منهم قوم لا يأكلون اللحم حتى قال بعضهم : أكل درهم من اللحم يقسى القلب أربعين صباحاً .

إلى أن قال رحمه الله : وقد صنف لهم أبو عبد الله محمد بن على الترمذى كتاباً سماه رياضة النفوس قال فيه : فينبغى للمبتدى فى هذا الأمر أن يصوم شهرين متتابعين توبة من الله ، ثم يفطر فيطعم اليسير ، ويأكل كسرة كسرة ،

ويقطع الإدام والفواكه واللذة ومجالسة الإخوان ، والنظر فى الكتب ، وهذه كلها أفراح للنفس ؛ فيمنع النفس لذتها حتى تمتلىء غماً .

إلى أن قال : وهذا الذى نبهنا عنه من التقلل الزائد الحد قد انعكس فى صوفية زماننا فصارت همتهم فى المآكل ، كما كانت همة متقدميهم فى الجوع[1] .

أما لبس الصوف فقد كانوا يلبسون الصوف يتقربون بذلك إلى الله عز وجل ، ويحتجون بأن النبى ﷺ لبس الصوف ، وأما لبسه إياه فقد لبس النبى ﷺ كذلك القطن والكتان ، وماروى فى فضل لبس الصوف فمن الموضوعات التى لاتثبت ، بل تعمد لُبس الصوف والدون من الملابس فمن البدع التى تخالف ما كان عليه السلف الصالح رضى الله عنهم .

قال ابن الجوزى : وقد كان السلف يلبسون الثياب المتوسطة لا المرتفعة ولا الدون ويتخيرون أجودها للجمعة والعيدين ولقاء الإخوان ولم يكن غير الأجود عندهم قبيحاً .[2]

وقال : واعلم أن اللباس الذى يزرى بصاحبه يتضمن إظهار الزهد ، وإظهار الفقر ، وكأنه لسان شكوى من الله عز وجل ، ويوجب احتقار اللابس ، وكل ذلك مكروه ومنهى عنه . وقال : وقد كان من الصوفية من إذا لبس ثوباً خرق بعضه وربما أفسد الثوب الرفيع القدر .[3]

٤ - الصوفية يَدَّعُونَ تزكية أنفسهم بالرهبانية وترك النكاح قال ابن الجوزى رحمه الله : النكاح مع خوف العنت واجب ، ومن غير خوف العنت سنة مؤكدة عند جمهور الفقهاء ، ومذهب أبى حنيفة وأحمد بن حنبل أفضل من جميع النوافل ، لأنه سبب فى وجود الولد قال ﷺ : « تناكحوا

---

(١) تلبيس ابليس (٢٠٦ - ٢٢١) باختصار .

(٢) تلبيس ابليس (١٩٨) .

(٣) تلبيس ابليس (٢٠٠) .

تناسلوا »[1] . وقال ﷺ « النكاح من سنتى فمن رغب عن سنتى فليس منى »[2] . قال : وقد لبس إبليس على كثير من الصوفية فمنعهم من النكاح فقدماؤهم تركوا ذلك تشاغلا بالتعبد ورأوا النكاح شاغلا عن طاعة الله عز وجل ، وهؤلاء وإن كانت بهم حاجة إلى النكاح أو بهم نوع شوق إليه فقد خاطروا بأبدانهم وأديانهم ، وإن لم يكن بهم حاجة إليه فاتتهم الفضيلة ، وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : « وفِى بُضْع أحدكم صدقة قالوا : يأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر قال : أرأيتم لو وضعها فى الحرام أكان عليه وزر ؟ قالوا : نعم قال : كذلك إذا وضعها فى الحلال كان له أجر »[3] .

ومنهم من قال : النكاح يوجب الميل إلى الدنيا فعن أبى سليمان الدرانى أنه قال : إذا طلب الرجل الحديث ، أو سافر فى طلب المعاش ، أو تزوج فقد ركن إلى الدنيا .

قال : فأما جماعة من متأخرى الصوفية فإنهم تركوا النكاح ليقال زاهد ، والعوام تعظم الصوفى إذا لم تكن له زوجة ، فيقولون ما عرف إمرأة قط .

قال أبو حامد : ينبغى أن لا يشغل المريد نفسه بالتزويج ، فإنه يشغله عن السلوك ، ويأنس بالزوجة ، ومن أنس بغير الله شغل عن الله .

قال ابن الجوزى : – وإنى لأعجب من كلامه أتراه ما علم أن من قصد عفاف نفسه ووجود ولد أو عفاف زوجته فإنه لم يخرج عن جادة السلوك ، أو

---

(١) رواه البيهقى فى السنن الكبرى (٧٨/٧) بلفظ « تزوجوا فإنى مكاثر بكم الأمم يوم القيامة ولا تكونوا كرهبانية النصارى ... » الحديث عن أبى أمامة وصححه الألبانى بشواهده – الصحيحة ١٧٨٢ .

(٢) رواه ابن ماجه (١٨٤٦) النكاح عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ « النكاح من سنتى فمن لم يعمل بسنتى فليس منى » الحديث حسنه الألبانى فى صحيح ابن ماجه (١٤٩٦) .

(٣) رواه أبو داود (١٢٧١) الصلاة والحديث أصله فى صحيح مسلم (٢٣٣/٥) صلاة المسافرين وأوله « يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة وليس فيه هذه الزيادة وصحح الألبانى رواية أبى داود المذكورة .

يرى الأنس الطبيعى بالزوجة ينافى أنس القلوب بطاعة الله تعالى ، والله تعالى قد مَنَّ على الخلق بقوله : ﴿ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [الروم : ٢١]

وفى الحديث الصحيح عن جابر رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال له « هلا تزوجت بكراً تلاعبها وتلاعبك »[١] وما كان بالذى يدله على ما يقطع أنسه بالله تعالى ، أترى رسول الله ﷺ لما كان ينبسط إلى نسائه ويسابق عائشة رضى الله عنها أكان خارجاً عن الأنس بالله ، هذه كلها جهالات بالعلم .

إلى أن قال :- وقد حمل الجهل أقواماً فجبُّوا أنفسهم ، وزعموا أنهم فعلوا ذلك حياء من الله تعالى ، وهذه غاية الحماقة ؛ لأن الله تعالى شرف الذكر على الأنثى بهذه الآلة ، وخلقها لتكون سبباً للتناسل ، والذى يَجُبُّ نفسه يقول بلسان الحال الصواب ضد هذا .[٢] .

وقد أخذ الصوفية هذه الرهبانية من النصارى وصرحوا فى كتبهم بإعجابهم برهبانية النصارى :

يقول الأستاذ دمشقية ما ملخصه

وهذا الاعتزال الصوفى ليس مصدره إسلامياً وإنما مصدره رهبان النصارى ورياضاتهم عليه عول الصوفية وآثار هذا الإعجاب تبدو ظاهرة جلية فى كتاب الإحياء .

فالغزالى يذكر فى الإحياء قصة بقلم إبراهيم بن أدم المعرفة والحكمة من راهب نصرانى يقول : قال إبراهيم بن أدهم : تعلمت المعرفة من راهب يقال له سمعان .

وروى عنه الغزالى أيضاً قوله : سألت بعض الرهبان : من أين تأكل ؟ فقال : ليس هذا العلم عندى ولكن سل ربى من أين يطعمنى .

---

(١) رواه البخارى (٨١/٣ ، ٤٨٩) ومسلم (١٧٦/٤) والترمذى (٢٠٣/١) والبيهقى (٨٠/٧) وأحمد (٣٠٨/٣) الإرواء ٧٨٥ .

(٢) باختصار من تلبيس إبليس (٢٩٢ - ٢٩٦) .

ويقول مثنياً على اعتزال رهبان النصارى وسلوكهم فى التعبد : « اعلم أنه لاوصول إلى الله سبحانه وتعالى إلا بالتنزه عن الشهوات والكف عن اللذات ، والاقتصار على الضرورات فيها ، والتجرد لله سبحانه فى جميع الحركات والسكنات .

ولأجل هذا انفرد الرهبانيون فى الملل السالفة عن الخلق ، وانحازوا إلى قلل الجبال ، وآثروا التوحش عن الخلق لطلب الأنس بالله عز وجل »[١] . فانظر رحمك الله كيف آثر الرهبانية التى ابتدعها اليهود والنصارى على الرهبانية التى شرعها الله عز وجل لهذه الأمة على لسان رسوله ﷺ فعن أبى سعيد الخدرى أن رجلا جاء رسول الله ﷺ فقال : أوصنى فقال « أوصيك بتقوى الله فإنه رأس كل شيء ، وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام ، وعليك بذكر الله وتلاوة القرآن ، فإن روحك فى السماء وذكرك فى الأرض »[٢] .

فانظر يرحمك الله كيف تلاعب بهم الشيطان فأبعدهم عن طريق الرحمن فآثروا ما ذم الله عليه الرهبان وقدموه على ماجاء به سيد ولد عدنان عليه من الله أفضل صلاة وأزكى سلام .

مقارنة بين أهل السنة والصوفية فى غاية التزكية

فكما تتباين وسائل التزكية وطرقها بين أهل السنة والصوفية ، فإن غاية التزكية تختلف كذلك اختلافاً كلياً بينهما كما يقال :

سَارَتْ مُشَرِّقَةً وَسِرْتُ مُغَرِّبَا
شَتَّانَ بَيْنَ مُشَرِّقٍ وَمُغَرِّبِ

وسوف نبين ذلك بشيء من التفصيل إن شاء الله تعالى .

---

(١) باختصار من « أبو حامد الغزالى والتصوف » (٣٩٧ ، ٣٩٨) .
(٢) رواه أحمد (٣/٨٢) وصححه الألبانى فى الصحيحة رقم ٥٥٥ .

غاية التزكية عند أهل السنة

غاية التزكية عند أهل السنة تحقيق كمال العبودية لله عز وجل ، واستكمال مراتب الحب والذل لله عز وجل ، واستسلام ظاهر العبد وباطنه لله عز وجل ، واستكمال مراتب الحب والذل لله عز وجل ،

وأن يلقى العبد ربه بقلب سليم فيسعد بمجاورة الله عز وجل فى الفردوس الذى سقفه عرش الرحمٰن .

قال شيخ الإسلام رحمه الله : وإنما دين الحق هو تحقيق العبودية لله بكل وجه ، وهو تحقيق محبة الله بكل درجة ، وبقدر تكميل العبودية تكمل محبة العبد لربه ، وتكمل محبة الرب لعبده ، وبقدر نقص هذا يكون نقص هذا ، وكلما كان فى القلب حب لغير الله كانت فيه عبودية لغير الله بحسب ذلك ، وكلما كان فيه عبودية لغير الله كان فيه حب لغير الله بحسب ذلك ، وكل محبة لا تكون لله فهى باطلة ، وكل عمل لا يراد به وجه الله فهو باطل .

إلى أن قال : فإن المخلص لله ذاق من حلاوة عبوديته لله ما يمنعه من عبوديته لغيره ، ومن حلاوة محبته لله مايمنعه من محبة غيره ، إذ ليس عند القلب لا أحلى ولا ألذ ولا أطيب ولا ألين ولا أنعم من حلاوة الإيمان المتضمن عبوديته لله ومحبته له ، وإخلاصه الدين له ، وذلك يقتضى إنجذاب القلب إلى الله فيصير القلب منيباً إلى الله خائفاً منه راغباً راهباً كما قال تعالى :
﴿ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَـٰنَ بِالغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنيب ﴾ [ق : ٣٣] إذ المحب يخاف من زوال مطلوبه وحصول مرغوبه ، فلا يكون عبد الله ومُحِبَّهُ إلا بين خوف ورجاء ، قال تعالى : ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إلى رَبِّهِمُ الوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [الإسراء : ٥٧] .

وإذا كان العبد مخلصاً له اجتباه ربه فيحيى قلبه ، واجتذبه إليه فينصرف عنه ما يضاد ذلك من السوء والفحشاء ، ويخاف من حصول ضد ذلك بخلاف

القلب الذى لم يخلص لله .[1]

ومما يدل على أن العبودية هى غاية التزكية أن الله عز وجل وصف صفوة الخلق من الملائكة والرسل بالعبودية ، ومدحهم بذلك ، وذم وتوعد من يستكبر عن عبوديته عز وجل .

قال تعالى فى وصف الملائكة ﴿ وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَه لَا يَستَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴾ [الأنبياء : ١٩]

وقال تعالى : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدَا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لَايَسْبِقُونَهُ بِالقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢٩]

وقال عن المسيح عليه السلام : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلا لِبَنِى إِسْرَائِيلَ ﴾ [الزخرف : ٥٩]

وقال عز وجل : ﴿ لَنْ يستَنكِف المَسِيْحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدَاً لله ولَا المَلَائِكَةُ المُقَرَّبُونَ ، وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيْعاً » [النساء : ١٧٢ ، ١٧٣]

ونعت نبيه المصطفى ﷺ بالعبودية فى أكمل أحواله فقال فى الإسراء : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلَا ﴾ [الإسراء: ١] وقال فى الإيحاء : ﴿ فَأَوْحَى إِلى عَبْدِهِ مَاأَوْحَى ﴾ [النجم : ١٠]

وقال فى الدعوة : ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدَا ﴾ [الجن : ١٩]

وقال فى التحدى : ﴿ وَإِنْ كُنْتُم فِى رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا ، فَأْتُوا بِسُوْرَةٍ مِّن مِّثْلِه ﴾ [البقرة : ٢٣]

فإذا كانت الرسل والملائكة الذين هم أشرف الخلق أكمل الناس عبودية ؛ فإن العبد بتزكية نفسه غايته بذلك أن يُحقق كمال العبودية ويستكمل مستلزماتها .

---

(١) مجموع الفتاوى (٢١٣/١ - ٢١٦) .

والعبادة هى كمال الحب مع تمام الذل ؛ فكلما زكت نفس العبد ازداد حباً وذلاً لله عز وجل .

وإذا كان الله عز وجل خلق الخلق من أجل أن يعبدوه عز وجل كما قال تعالى : ﴿ وَمَاخَلَقْتُ الجِنَّ والإنْسَ إلَّا لِيَعْبُدُونَ ﴾ [الذاريات : ٥٦]

فلا شك أن العبد كلما أدى هذه الوظيفة التى خلق من أجلها كان أزكى نفسا ، وأسلم قلبا ، وبهذا وغيره يتضح أن غاية التزكية عند أهل السنة تحقيق كمال العبودية التى يستغنى العبد بالله عز وجل ويسعد به ويصل إلى محبة الله عز وجل ورضاه .

قال ابن القيم رحمه الله : ومنى النفوذ إليه أن يتصل به قلبه ، ويعلق به تعلق المحب التام المحبة بمحبوبه ،فيسلو به عن جميع المطالب سواه ، فلا يبقى فى قلبه إلا محبة الله وأمره والتقرب إليه ، فإذا سلك العبد على هذا الطريق عطف عليه ربه فقربه إليه واصطفاه ، وأخذ بقلبه إليه وتولاه فى جميع أموره ، فى معاشه ودينه ، وتولى تربيته أحسن وأبلغ مما يربى الوالد الشفيق ولده ، فإنه سبحانه القيوم المقيم لكل شىء من المخلوقات طائعها وعاصيها ، فكيف تكون قيوميته بمن أحبه وتولاه وآثره على ماسواه ، ورضى به من دون الناس حبيباً وربا ووكيلا وناصراً ومعيناً وهادياً ، فلو كشف الغطاء عن ألطافه وصنعه به من حيث يعلم ومن حيث لا يعلم لذاب قلبه محبة له وشوقاً إليه ويقع شكراً له .
إلى أن قال رحمه الله : وإن الله سبحانه إذا أقبل على عبد استنارت جهاته ، وأشرقت ساحاته ، وتنورت ظلماته ، وظهرت عليه آثار إقباله من بهجة الجلال وآثار الجمال ، وتوجه إليه أهل الملأ الأعلى بالمحبة وبالموالاة ؛ لأنهم تبع لمولاهم ، فإذا أحبَّ عبداً أحبوه ، وإذا والى والياً والوه ، إذا أحب الله العبد نادى : ياجبريل إنى أحبُّ فلانا فأحبه ، فينادى جبريل فى السماء : إن الله يحب فلاناً فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ثم يحبه أهل الأرض فيوضع له القبول بينهم ، ويجعل إليه قلوب أوليائه تفد إليه بالود والمحبة والرحمة ، وناهيك بمن يتوجه إليه مالك الملك ذو الجلال والإكرام بمحبته ، ويقبل عليه بأنواع كرامته ، ويلحظه الملأ الأعلى وأهل الأرض بالتبجيل والتكريم ، وذلك فضل

الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .[1] .

غايــة التزكيــة عنــد الصوفيـــة

فبينما يزداد أهل السنة بالتزكية عبودية وذلا وتواضعاً وحباً لله عز وجل وافتقاراً إلى الكتاب والسنة لضبط أقوالهم وأفعالهم إرضاء لربهم عز وجل ، فإن الصوفية يزدادون بدعوى التزكية عندهم إلى ادعاء المكاشفة وحصول العلم اللدنى الذى يستغنون به عن الكتاب والسنة والفناء فى ذات الله عز وجل وتحقيق ما يسمونه بالعبد الربانى كما فى الحديث الموضوع « عبدى أطعنى أجعلك عبداً ربانياً تقول للشيء كن فيكون » وهم مع ذلك يفضلون الأولياء على الرسل والأنبياء كما قال قائلهم :

مقـــام النبـــوة فى برزخ
فويق الرسول ودون الولى

ويقول بعضهم : خضنا بحراً وقف الأنبياء بساحله.وينتهى الأمر عند غلاتهم بالقول بالغناء فى ذات الله ، واعتقاد الحلول والاتحاد .

١ - المكاشفــة :

قال الغزالى : عبارة عن نور يظهر فى القلب عند تطهيره وتزكيته من صفاته المذمومة ، وينكشف من ذلك النور أمور كثيرة ، حتى تحصل المعرفة الحقيقية بذات الله سبحانه وبصفاته الباقيات التامات ، وبأفعاله وبحكمته فى خلق الدنيا والآخرة ، والمعرفة بمعنى النبوة والنبى ، ومعنى الوحى وكيفية ظهور الملك للأنبياء ، وبكيفية وصول الوحى إليهم ، والمعرفة بملكوت السماوات والأرض »[2] .

---

(١) طريق الهجرتين (١٧٩ ، ١٨٠) .
(٢) إحياء علوم الدين (١/١٩ ، ٢٠) .

ثم قال : « ونعنى بعلم المكاشفة أن يرتفع الغطاء ، حتى يتضح له جلية الحق فى هذه الأمور ، إتضاحاً يجرى مجرى العيان الذى لا يشك فيه . »[1] .

وأضاف : وهذا ممكن فى جوهر الإنسان ، لولا أن مرآة القلب قد تراكم صدؤها وخبثها بقاذورات الدنيا ، فبقدر ما يتجلى فى القلب ويحاذى فيه شطر الحق يتلألأ فيه حقائقه . [2]

يقول الأستاذ دمشقية : -

فإذا أزيلت هذه القاذورات وتطهر القلب من تراكم هذا الصدأ فإنه يصير ممكناً عند الغزالى الإطلاع على اللوح المحفوظ ، ومعرفة مقادير الخلائق حسبما هو مدون فيه ، ومعرفة ماسيكون فى المستقبل ، وكشف ما فى ضمائر الناس واعتقاداتهم وما تخفيه صدورهم .[3] .

٢ - العلم اللدنى :

لا تلبث هذه العلوم الكشفية عند الصوفية أن تتحول إلى علم خاصٍ لدنى مستقل عن العلوم الشرعية .

يقول الغزالى : « وإذا غلب نور العقل على أوصاف الحس يستغنى الطالب بقليل التفكر عن كثرة التعلم ؛ فإن نفس القابل تجد من الفوائد بتفكر ساعة مالا تجد نفس الجامد بتعلم سنة .

ويقول : « العلم الحاصل عن الوحى يسمى علماً نبوياً ، والذى يحصل عن الإلهام يسمى علماً لدنا ، والعلم اللدنى الذى لا واسطة فى حصوله بين النفس وبين البارى .[4] .

---

(١) السابق (٢٠/١) .

(٢) السابق .

(٣) الرسالة اللدنيه (١١٢ - ١١٣) نقلا عن « أبى حامد الغزالى والتصوف » .

(٤) السابق (١١٦) .

ولاشك أن الصوفية يستغنون بهذه العلوم اللدنية عن العلوم الشرعية المنزلة على خير البرية وبذلك يصير تحصيل العلوم الشرعية عيبا مذموما عندالصوفية .

روى ابن الجوزى عن أحدهم حيث قال : قال أبو سعيد الكندى : كنت أنزل رباط الصوفية وأطلب الحديث فى خفية بحيث لا يعلمون ، فسقطت الدواة يوماً من كمى ، فقال لى بعض الصوفية : استر عورتك[1] .

وروى ابن الجوزى قول البسطامى : « مساكين أخذوا علمهم ميتا عن ميت ، وأخذنا علمنا عن الحى الذى لا يموت[2] .

٣ - إسقاط التكليف :

قال الأستاذ دمشقية : على أن هناك مظهراً آخر من مظاهر الشطح الصوفى أنكره كثيرون من المتصوفة وتبناه بعض الغلاة منهم ، وهو القول بإسقاط التكليف ، وذلك أن الواحد منهم يسرحه فيه رب العزة من قيود الشرائع ، ويخرجه من حدودها ، هذا ما يزعمونه ، وهو أكبر الزندقة بل هو ردة عن الاسلام لا ريب[3] .

وقال شيخ الإسلام رحمه الله : -

ولكن كثير منهم لا يطلقون السلب العام ويخرجون عن ربقة العبودية مطلقاً ، بل يزعمون سقوط بعض الواجبات عنهم ، أوحل بعض المحرمات لهم ، منهم من يزعم أنه سقطت عنه الصلوات الخمس لوصوله إلى المقصود ، وربما قد يزعم سقوطها عنه إذا كان فى حال مشاهدة وحضور ، وقد يزعمون سقوط الجماعات عنهم استغناءً عنها بما هو فيه من التوجه والحضور ، ومنهم من يزعم سقوط الحج عنه مع قدرته عليه لأن الكعبة تطوف به ، أو لغير هذا من الحالات الشيطانية ،

---

(١) تلبيس إبليس (٣٢٨ - ٣٢٩) .

(٢) تلبيس ابليس (٣٢٠) .

(٣) أبو حامد الغزالى والتصوف (١٩٦) .

ومنهم من يستحل الفطر فى رمضان لغير عذر شرعى زعماً منه استغناؤه عن الصيام ، ومنهم من يستحل الخمر زعماً منه أنها تحرم على العامة الذين إذا شربوا تخاصموا وتضاربوا دون الخاصة العقلاء ، ويزعمون أنها تحرم على العامة الذين ليس لهم أعمال صالحة ، فأما أهل النفوس الزكية والأعمال الصالحة فتباح لهم دون العامة[1]

٤ - الفناء ووحدة الوجود :

قال ابن القيم رحمه الله :

زعم أهل الاتحاد القائلون بوحدة الوجود أن الفناء هو غاية الفناء عن وجود السوى ، فلا يثبت للسوى وجود ألبتة لا فى الشهود ولا فى العيان ، بل يتحقق بشهوده وحدة الوجود فيعلم حينئذ أن وجود جميع المخلوقات هو عين وجود الحق ، فما ثَمَّ وجودان بل الموجود واحد .

وحقيقة الفناء عندهم أن يفنى عما لا حقيقة له ، بل هو وهم وخيال ، فيفنى عما هو فانٍ فى نفسه لا وجود له ، فيشهد فناء وجود كل ما سواه فى وجوده ، وهذا تعبير محض ، وإلا ففى الحقيقة ليس عند القوم « سوى » ولا « غير » وإنما السوى والغير فى الوهم والخيال .

وأما أهل الاستقامة فيشيرون بالفناء إلى أمرين : أحدهما أرفع من الآخر .

الأمر الأول : الفناء فى شهود الربوبية والقيومية فيشهد تفرد الرب تعالى بالقيومية والتدبير والخلق والرزق والعطاء والمنع والضرر والنفع ، وأن جميع الموجودات منفعلة لا فاعلة .

الأمر الثانى : الفناء فى مشهد الألوهية وحقيقة الفناء عن إرادة ماسوى الله ، ومحبته والإنابة إليه والتوكل عليه وخوفه ورجاؤه ، فيفنى بحبه عن حب ماسواه ، وبخوفه ورجائه عن خوف ما سواه ورجائه ، وحقيقة هذا الفناء إفراد الرب سبحانه بالمحبة والخوف والرجاء والتعظيم والإجلال اهـ[2]

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٤٠٣/١١) .

(٢) مدارج السالكين (٣٧٨/٣) .

قلت : وهذا الكلام في شرح الفناء عند أهل الاستقامة صحيح طيب إلا أن هذا المصطلح لم يثبت بالكتاب والسنة ولا استعمله سلف الأمة وإحداث مثل هذه المصطلحات مما يخالف أصول أهل السنة والجماعة .

المعاصي بريد الكفر

قديماً قال علماؤنا : المعاصي بريد الكفر أي رسوله ؛ وذلك أن العبد إذا أكثر من معصية الله عز وجل فإنه يدخل بذلك في عبادة الشيطان ، فيعده ويمنيه ويضله ويغويه ولا يرضى منه دون الكفر ما استطاع إلى ذلك سبيلا كما قال تعالى ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَاثاً وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَاناً مَرِيداً لَعَنَهُ اللهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيباً مَفْرُوضاً وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً مِّن دُوْنِ اللهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُبِيْناً يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُوراً ﴾ [النساء : ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠] فهذا المنهج المبتدع عند الصوفية في التزكية الذى خالفوا به أهل السنة والجماعة آل بغلاتهم إلى الوقوع في الكفر الذى هو أكبر من كفر اليهود والنصارى ، وهذا ما وقع فيه ابن عربى وابن الفارض وابن سبعين والعفيف التلمسانى .

قال شيخ الإسلام رحمه الله :

وجماع أمر صاحب الفصوص[1] وذويه هدم أصول الإيمان الثلاثة .

فإن أصول الإيمان : الإيمان بالله ، والإيمان برسله والإيمان باليوم الآخر .

فأما الإيمان بالله : فزعموا أن وجوده وجود العالم ، ليس للعالم صانع غير العالم .

وأما الرسول فزعموا أنهم أعلم بالله منه ومن جميع الرسل ، ومنهم من يأخذ العلم

(١) المراد ابن عربى النكرة خلافاً لابن العربى شارح الترمذى (عارضة الأحوذى) وهو من علماء السنة .

بالله – الذى هو التعطيل ووحدة الوجود – من مشكاته وأنهم يساوونه فى أخذ العلم بالشريعة عن الله ، وأما الإيمان باليوم الآخر فقد قال :

فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صَادِقُ الوَعْدِ وَحْدَهُ وَبِالوَعِيدِ الحَقِّ عَيْنٌ تُعَايِنُ
وَإِنْ دَخَلُوا دَارَ الشَّقَاءِ فَإِنَّها عَلَى لَذَّةٍ فِيهَا نَعِيمٌ يُبَايِنُ

وهذا يذكر عن بعض أهل الضلال قبله أنه قال : إن النار تُصَيِّر لأهلها طبيعةً نارية يتمتعون بها ، وحينئذ فلا خوف ولا محذور ولا عذاب لأنه أمر مستعذب ، ثم إن فى الأمر والنهى عنده الآمر والناهى والمأمور والمنهى واحدٌ ، ولهذا كان أول ماقاله فى الفتوحات المكية التى هى أكبر كتبه :

الرَّبُّ حَقٌّ وَالعَبْـــدُ حَقٌّ يَالَيْتَ شِعْرِى مِن المُكَلَّفُ
إِنْ قُلْتَ عَبْدٌ فَذَاكَ رَبٌّ أو قُلْتَ رَبٌّ أَنَّى يُكَلَّفُ

وهذا مبنى على أصله ، فإن عنده ما ثمَّ عبد ولا وجود إلا وجود الرب فمن المكلف ؟ وعلى أصله هو المكلِّف والمكلَّف كما يقولون أرسل من نفسه إلى نفسه رسولا .

وكما قال ابن الفارض فى قصيدته التى نظمها على مذهبهم وسماها نظم السلوك :

إِلَىَّ رَسُولاً كُنْتَ مِنِّى مُرْسَلاً وَذَاتِى بِآيَاتِى عَلَىَّ استَدَلَّتِ

ومضمونها هو القول بوحدة الوجود وهو مذهب ابن عربى وابن سبعين وأمثالهم كما قال :

لَهَا صَلَاتِى بالمُقَامِ أُقِيمُهَا وَأَشْهَـــدُ فيها أَنَّهَا لِى صَلَّتِ
كِلَانَا مُصَلٍ عَابِدٌ سَاجِدٌ إِلَى حَقِيْقَةِ الجَمْعِ فِى كُلِّ سَجْدَةِ
وَمَاكَانَ لِى صَلَّى سِوَاى فَلَم تكنْ صَلَاتِى لِغَيرى فِى أَدَا كُلِّ رَكْعَةِ

إلى قوله :

وَمَازِلْت إِيَّاهَا وَإِيَّاىَ لَمْ تَزل   وَلَا فَرْقَ بَلْ ذَاتِى لِذَاتِى أَحَبَّتِ

ومثل هذا كثير والله أعلم .[1]

إلى أن قال شيخ الإسلام رحمه الله :

وحدثنى الشيخ العارف كمال الدين المراغى شيخ زمانه أنه لما قدم وبلغه كلام هؤلاء فى التوحيد قال : قرأت على العفيف التلمسانى من كلامهم شيئاً فرأيته مخالفاً للكتاب والسنة ، فلما ذكرت ذلك له قال : القرآن ليس فيه توحيد بل القرآن كله شرك ، ومن اتبع القرآن لم يصل إلى التوحيد .

قال : فقلت له : ماالفرق عندكم بين الزوجة والأجنبية والأخت الكل واحد ؟ قال : لا فرق بين ذلك عندنا ، وإنما هؤلاء المحجوبون اعتقدوه حراماً ، فقلنا : هو حرام عليهم عندهم ، وأما عندنا فما ثَمَّ حرام[2] .

وإنما سقنا هذا الكفر الصراح – وناقل الكفر ليس بكافر – حتى يتبين لإخواننا كيف تذهب المناهج المبتدعة بأصحابها ، وأين توصل الطرق الضالة من سلكها وحتى يتبين كذلك نقاء المنهج السلفى ، وكيف أنه طريق السلامة والنجاة فى الدنيا كما أنه طريق الجنة ؛ لأنه طريق الأنبياء ومن اقتفى آثارهم ، ونسج على منوالهم ، نسأل الله العفو والعافية فى الدنيا والآخرة .

---

(١) مجموع الفتاوى (٢ /٢٤١) .

(٢) مجموع الفتاوى (٢/٢٤٤ ، ٢٤٥) .



الباب الرابع

خلاصة البحث

* التزكية: هى التنمية والتطهير والإصلاح .
* أهل السنة يزكون أنفسهم أولاً بالاعتقاد الصحيح فى الله عز وجل وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر ، ويُعَبِّدُونَ قلوبهم وجوارحهم لله عز وجل بمقتضى هذه العقيدة الصحيحة .
* أهل السنة يعتقدون أن كمال التزكية فى الاستسلام لشرع الله عز وجل ظاهراً وباطناً ، ولكنهم يبدؤون بالفرائض لأنها أحب العبادات إلى الله عز وجل ، ثم يترقون بالنوافل حتى يصلوا إلى محبة الله عز وجل .
* أهل السنة لا يستغنون عن الكتاب والسنة بحال فى حال بدايتهم وحال نهايتهم ، بل إتباع السنة هو علامة محبة الله عز وجل والموصل إلى مزيد محبته كما قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ [آل عمران : ٣١]
* أهل السنة يسيرون إلى الله عز وجل بين الخوف والرجاء والمحبة ، فهم لا يُفْرِطُونَ فى الخوف فعل الخوارج ، ولا يبالغون فى الرجاء فعل المرجئة ، ولا يتمادون فى دعاوى الحب فعل الصوفية .
* غاية التزكية عند أهل السنة تحقيق كمال العبودية لله عز وجل فهم يعتقدون أن الرسل أكمل الناس عبودية لله عز وجل وأن الله عز وجل خلق الخلق من أجل عبادته فكلما أدى العباد وظيفة العبودية كانوا أحبَّ إلى الله عز وجل وأشد تقرباً .
* الصوفية : من أفقر الناس بآثار النبوة .
* الصوفية : يزكون أنفسهم - زعموا - بالبدع والخرافات وتكلف مالم يشرعه الله عز وجل من العبادات .

* الصوفية – يَدَّعون الاستغناء عن الكتاب والسنة بدعاوى الكشف والعلم اللدنى والتلقى عن الله عز وجل مباشرة .

* الصوفية : – يهربون من التكاليف الشرعية بدعوى سقوط التكليف ؛ لأنهم يصلون إلى حالة يستغنون بها عن العبادات المشروعة .

* غاية التزكية عند الصوفية : الفناء فى ذات الله عز وجل ودعوى الحلول والاتحاد :

وبعـــــد

فليس عجيباً أن تختلف ثمرات التزكية بين أهل السنة والصوفية فمدرسة السنة تخرج منها : عبد الله بن المبارك ، وأحمد بن حنبل ، وشيخ الإسلام ابن تيمية ، وابن عبد الوهاب .

ومدرسة الصوفية تخرج منها الزنادقة والملاحدة ، أمثال ابن عربى وابن سبعين وابن الفارض والعفيف التلمسانى .

﴿ وَالبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّه وَالَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ﴾ [الأعراف : ٥٨]

قال ابن أبى شونب : إن من نعمة الله على الشاب إذا نسك أن يوفقه الله إلى صاحب سنة يحمله عليها .

﴿ وذَلِكَ فَضْلُ الله يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ ﴾ [الجمعة : ٤]

اللهم زدنا محبة للمصطفى ﷺ كما آمنا به ولم نره ولا تفرق بيننا وبينه حتى تدخلنا مدخله ، اللهم أحينا على سنته وأمتنا على ملته وأحشرنا فى زمرته .

مراجـــع البحـــث

١ - القرآن الكريم

٢ - تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير دار المعرفة

٣ - أضواء البيان لمحمد الأمين الشنقيطى دار المدنى

٤ - فتح البارى شرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى السلفية

٥ - صحيح مسلم بشرح النووى المكتبة المصرية

٦ - عارضة الأحوذى شرح ابن العربى لجامع الترمذى دار الوحى

٧ - عون المعبود شرح سنن أبى داود لشمس الحق أبادى المكتبة السلفية بالمدينة المنورة

٨ - سنن النسائى بشرح السيوطى وحاشية السندى المعرفة

٩ - سنن ابن ماجه ترقيم وتعليق محمد فؤاد عبد الباقى المكتبة العلمية

١٠- جامع الأصول لابن الأثير بتحقيق عبد القادر الأرناؤوط دار الفكر

١١- مستدرك الحاكم مع تلخيص الذهبى دار المعرفة

١٢- موارد الظمآن فى زوائد ابن حبان المكتبة العلمية

١٣- شرح السنة للبغوى بتحقيق شعيب الأرناؤوط وزهير الشاويش دار بدر

١٤- مجموع فتاوى شيخ الإسلام مكتبة ابن تيمية

١٥- تلبيس إبليس لابن الجوزى مكتبة المتنبى

١٦- عين الأدب والسياسة لابن هذيل دار الفكر

١٧- طريق الهجرتين لابن القيم السلفية

١٨- الوابل الصيب لابن القيم بتحقيق بشير محمد عيون دار البيان

١٩- مدارج السالكين لابن القيم بتعليق حامد الفقى مطبعة السنة المحمدية

٢٠- أبو حامد الغزالى والتصوف لعبد الرحمن دمشقية دار طيبة

٢١- ولاية الله والطريق إليها لإبراهيم إبراهيم هلال

٢٢- صحيح الجامع الصغير وزيادته للألبانى المكتب الإسلامى

٢٣- سلسلة الأحاديث الصحيحة للألبانى المكتب الإسلامى

٢٤- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى لجماعة من المستشرقين
دار الدعوة
٢٥- إرواء الغليل للألبانى المكتب الاسلامى
٢٦- صحيح ابن ماجه للألبانى مكتب التربية

فهـــرس الموضوعـــــات